

روايات مصرية للجنب



أسطورة

35

دعاء دراكيولا

صا ونا الطيعة

[www.liilas.com/vb3](http://www.liilas.com/vb3)

^ RAYAHEEN ^



ما وراء الطبيعة

روايات تختص بالأنفاس  
من قسط العنوت والرهبة والآنفة

روايات همرية اللبيب

٥٧٨٨

### أسطورة دماء دراكويلا

تعرفون هذا النوع من المازق : فى  
الخارج ينتظر مصاصو الدماء فى  
شغف ، وفى الداخل يتحرك الباب منذراً  
بدخول شيء ما من عالم آخر .. وعليك  
الاختيار ! لو طلبتم رأى د . ( رفعت  
إسماعيل) لنصحكم بالخروج إلى  
مصاصى الدماء ؛ فهم أكثر وداعة  
وأكثر لطفاً من ذلك الذى يفتح  
البناب الآن !



د. احمد خالد توفيق

[www.liilas.com/vb3](http://www.liilas.com/vb3)

RAYAHEENA

العدد القادم :

أسطورة الفصيحة السادسة

المؤسسة العربية الحديثة

بيروت - لبنان  
1997 - 2004

الثالث  
وهو  
فى

## مقدمة

أنا الدكتور ( رفعت إسماعيل ) .. أستاذ أمراض  
الدم سابقاً بكلية طب ( ..... ) و .....  
ولكن .. يبدو أنني سأضيع وقتكم بلا داع في تقديم  
نفسى .. إن هذه القصة ذات جزأين .. ويبدو لى أن  
الأرجح الاكتفاء بمقدمة واحدة للقصة كلها ..  
كذلك - على سبيل التجديد - لن أقدم الصفحتين  
المملتين اللتين تلخصان ما ورد بالجزء الأول ..  
إن أحداثاً كثيرة تنتظرنا اليوم ، وعلينا ألا نضيع  
الوقت والصفحات فى استرجاع الماضى .. فنقلب  
الصفحة ونبدأ دون إبطاء ..  
تعالوا نفتح الباب فى نهاية الردهة .. ولكن حاذروا  
من أن تتلوّث أقدانكم بدماء ( دراكيولا ) .....



قال ( كوثر ) :

- أنا من ضمّ ( بيلاسكو ) مدرس القرية .. وأبى  
إلى إخوة الدم ..

★ ★ ★

لا يد أن من قرءوا مذكرات أبى قد عرفوا كيف كان  
الأمر .. لقد جاء إلى غرفتى المظلمة ليلاً يبغى أن  
يعرف مشاكلى ، وسر ميلى إلى الوحدة وقلة نظافتى ..  
لكن نداء ( هو ) كان أقوى منى ، ونجحت فى  
جعل ( بيلاسكو ) يشرب جرعات عدة من الإكسير ..  
وكانت ملاحظته قوية حقاً ، جديرة بمدرس علوم عتيده ..  
إنه سائل عطر الرائحة ، له مذاق ( الزنجبيل ) لو خلط  
بشئ من النعناع ..

وسرعان ما تم الأمر .. لقد جعله الإكسير قادراً  
على تحمل امتصاص دمه .. وأفرغت ما بعروقه ، ثم  
قلت له العبارة العتيده :

- « أنت لن تموت .. ستعيش لتكون من إخوة الدم ،

وعندها تلفظ كل خطايا الماضى .. »

★ ★ ★

## حكاية الشاحب الثالث

يحكيها هو بنفسه

أما من ضمنى أنا ف ( فيروزة ) الحسناء ..  
( فيروزة بالكوفسكو ) .. اسم عربى جميل ، ربما  
يرجع إلى عهد الأتراك فى ( رومانيا ) .. فلقد ترك  
لنا الأتراك أثرًا لا يمحي ها هنا ..

كانت ( فيروزة ) فيروزة حقيقية تمشى على قدمين ..  
ذلك الجمال الصارخ الذى يشعر الرجال بالهم والأسى ..  
ذلك الحسن الذى كفت النساء منذ دهر عن حسده ،  
وصرن يعتبرنه حقيقة لا مفر منها كالشمس ..

( فيروزة ) ابنة ( أندريا بالكوفسكو ) العجوز الفظ ..  
الفلاح الخشن ، الذى يؤمن بأن المرأة يجب أن تضرب  
على الدوام ، فإن لم تفعل ما تستحق عليه الضرب  
فهى - حتمًا - فاعلته ..

لهذا كان يوسع نساء الدار ضربًا .. امرأته وابنتيه ..  
يحدث بهن كدمات لا بأس بها حول العيون وفى  
الشفاه ، ثم كان يهدأ فيبدأ الحديث عن الشيوعيين  
الذين جعلوا الحياة لا تطاق ..

- « يقولون إن الأمور تزدهر .. بحق السماء أنا  
أعرف شيئًا واحدًا .. لقد صار الرزق أضيّق ، وغدت  
الحياة أصعب .. مع فارق واحد ، هو أن المرء لا يحق  
له أن يعلن ذلك .. »

وتعود له الثورة ، فينهض ليوسع المرأة البائسة  
زوجته ضربًا .. ويعتصر نراع ( فيروزة ) بين  
إبهامه وسبابته قائلاً :

- « أنت ستكونين امرأة حسناء .. والمرأة الحسنة  
لا تجلب سوى المصائب لأهلها ولنفسها .. كيف لى  
أن أطمئن لحظة لخروجك إلى الغابة لجمع التوت ؟ أو

لعودتك إلى الدار فى ساعة متأخرة ؟ »  
ويضربها بعنف وهو يكاد يجن غيظًا :

- « حتى لو لم تكونى شيطانة .. فهناك من  
الشياطين عدد كاف دائمًا .. »

وتصرخ الفتاة وتولول ، وتهرع جريًا من الدار ..  
يقول له الجيران أن يترفق ..

فيقول لهم فى فظاظة : إن هذا ليس من شأنهم ..  
فلينعموا برزقهم الوافر ، ويطمئنوا على نساتهم وبناتهم  
القييحات .. أما هو فلن ينام أو يهدأ حتى تصيبه أزمة  
قلبية ، ويموت والزبد على شفثيه ككلب عقور ..

★ ★ ★

كانت ( فيروزة ) هى فتاتى .  
وكان جميع شباب القرية يعرف هذا .. وبرغم

سؤاله بنيتي فإنتى كنت قادراً على جندلة من يتهمك أو يتخرص أو يلزم فيما يتعلق بها .. وكنت أتب إلى صدره قبل أن يفهم ما يحدث ، لأمرغه فى الغبار وأشبعه ركلاً وعضاً ولكمأ ..

وبعد هذا كنت ألقاها عند الخميطة ، لتمسح بيدها الباردة الرقيقة على كدماتي وتقول :

- « رباه ! قد أدوك حقاً يا صغيرى المسكين .. »  
- « لكنى أذيتهم أكثر .. »

وكانت لقاءاتنا سرية يشوبها توتر شديد .. فلو رأنا أحد الحاقدين لجرى وأخبر أباهما .. عندها لن يتردد ( بالكوفسكو ) العجوز فى أن يجلب بندقيته ( القرابينة ) من الجرن ليفرغها فى رأسى ورأس ابنته .

لم يحدث بيننا ما يشين أو ما أخجل من ذكره .. لكن أباهما ما كان لينتظر حتى أقسم .. وأنا لا ألومه كثيراً على كل حال ..

كان حبنا خطراً داهماً .. وكانت الأيام ضدنا لأننى - حتماً - لا أستطيع أن أتزوجها فى سن مبكرة كهذه .. وما كان القس ليسمح لى بأن أخذها معى إلى كنيسة

للتزواج سراً ، كما فعل ( روميو ) و ( جولييت ) فى تلك الرواية التى فى مكتبة أبى ..

فى الآونة الأخيرة لم تعد ( فيروزة ) تأتى للقانى فى الخميطة ..

وأدركت أن حصار أبيها عليها يضيق .. ورحت أفكر فى كيفية لقائها .. لكنى لم أبلغ بعد بشجاعتى درجة أن أتسلل إلى دارها .. فالخطر حقيقى لا شك فيه ، وليس به شىء من الرومانسية ..

إن ما حدث لـ ( روميو ) و ( جولييت ) رومانسى .. لكن لمن يقرأ قصتهما فى فراشه ليلاً ، وليس بالتنسية لهما بالتأكيد ..

ترى كيف أنقذك وأنقذ نفسى يا ( فيروزة ) ؟

★ ★ ★

وكان الجواب دانياً جداً ..

فى ذلك المساء كنت عائدأ إلى دارى مطرق الرأس مهموماً ، حين رأيت شبح فتاة يدنو منى ..

دنت فتعرفتها .. إنها ( ياسمينة ) أخت ( فيروزة ) التى تصغرها بأعوام أربعة .. كانت ممتقعة .. حتى فى الظلام استطعت أن أرى ذلك ..

طفلة مذعورة تتسلل تحت جناح الليل لتقول لى :  
- « ( فيروزة ) ليست على ما يرام .. »  
- « أحقاً ؟ لماذا لا أجد في نفسي دهشة ؟ »  
اتسعت عيناها الزرقاوان أكثر .. وهمست :  
- « الأمر ليس كما تظن .. لا علاقة لهذا بأبي ..  
إنها منزوية في حجرتها ، وحيدة لا تكلم أحداً ،  
ولا تترك أحداً يكلمها .. تعاف الطعام ، وتوشك أن  
تتحول إلى شبح .. »

وارتجف صوتها وهي تقول :

- « إن أمي مذعورة .. »

كدت أذوب قلقاً .. لكنني كنت قادراً على بعض  
التفكير السديد .. ما هو دوري أنا في كل هذا  
وما ذنبي ؟

قالت وقد رأت السؤال في عيني :

- « تقول أمي إنه الحبيب .. إن حبها لك سيقتلها  
قتلاً .. أمي تعرف هذه الأشياء .. وتقول : ربما لو  
رأتك ( فيروزة ) لحظة .. فلربما .. .. »  
هذه هي الكارثة .. لو رفضت لكنت نذلاً .. ولو  
قبلت لكنت مجنوناً ..

إن العجوز ( بالكوفسكو ) لن يعطيني ترف الموت  
بالرصاص هذه المرة .. سوف يعطيني درساً عملياً  
في كيفية سلخ الخراف ..  
لكني شاب .. والشباب لا يملك خيارين لأمر كهذه ..  
- « إنني أقبل .. ولكن المكان ؟ »  
- « ستلتقك ( فيروزة ) عند الطاحونة القديمة ..  
سنعرف كيف نقتعها بهذا .. وعليك أن تكذب عليها ..  
قل لها إنك تحبها .. »

- « وهل يكذب المرء في شيء كهذا ؟ »

- « .. وقل لها إنكما ستتزوجان يوماً ما .. »

- « أما هذا فكذب صريح .. لكنني سأفعله .. »

تلفتت حولها في رعب .. ثم قالت وهي تذوب في  
الظلام :

- « شكراً يا ( كوثر ) .. الطاحونة القديمة غذاً

بعد الغروب .. وداغاً ! »

★ ★ ★

لهذا يا رفاق ترونني واقفاً في الظلام ، أصغى  
لصوت حشرات الليل المنتظم ، وأرتجف .. وأرتجف  
اتفعلاً وأرتجف برداً ..

يا لحرارة دماء الشباب ! يا لاندفاعهم ! قل للواحد منهم إن حبيبته تحتاج إلى التهام عينيه كي تعيش .. عندها يخرج لك عينيه دون تفكير ، وفي أريحية يعتبرها الكبار حماقة ، ويعتبرها الشاب فروسية .. لماذا أتحدث عن الشباب كأني لست منهم ؟ الإجابة بسيطة : لأنني لم أعد منهم ..

ولكن .. هي ذى ( فيروزة ) قادمة في الظلام تجر ساقاً وراء ساق ، منحنية القامة مترنحة ، لكنها هي .. تنوت منها فاتحاً ذراعى ؛ لكنها ظلت متصلبة متخشبة ، لم تبد أدنى حرارة كالتى أظهرتها أنا .. تراجعت للوراء وتاملتها ..

الحق أننى لم أر شحوباً كهذا إلا فى أوراق الشجر الذابلة .. واقشعر جدى لمرأها .. لم يكن الأمر متعلقاً بلوعة الهوى إذن .. الفتاة مريضة .. مريضة للغاية .. - « ( فيروزة ) ! حبيبتي ! يجب أن يراك العجوز ( ميخائيل ) .. لربما .. »

فتحت شفتيها المتشققتين .. وهمست :

- « لم يعد بوسعه أن يفعل الكثير .. أنت وحدك

تستطيع .. »

- « سأفعل حتماً .. لكن أفعل ماذا ؟ »

- « سأموت خلال أيام ما لم .. ما لم .. »

وارتجفت ودمعت عيناها ..

هنا جن جنونى .. وأقسمت : لو أنها سألتنى أن أسافر إلى ( تمبكتو ) الآن .. أو أذهب حافى القدمين إلى القطب الشمالى .. أو أصطاد لها ( كنجارو ) حلاً ، فلسوف أفعل ..

قالت وهى تخرج قنينة من جيبتها :

- « هذه القنينة .. إنها من تركيب الصيدلى .. هل ..

هل تذكر ( روميو ) و ( جوليت ) ؟ لقد كنت أقرأ

المصرحية أمس .. »

- « هذا هو ما كنت أفعله بالذات .. هل تعنين

الانتحار ؟ »

- « بل النوم الذى يبدو كالانتحار .. ثم نصحو منه

فى الكنيسة فى أثناء القداس ، نطلب أن يزوجونا

وإلا متنا بحق .. »

بدت لى الفكرة لا بأس بها .. بعد ما يولول أبائنا

وبعد ما يلوم أبوها نفسه ألف مرة ، نصحو من

سيئاتنا ونطلب .. نطلب عندما يغدو الجميع على

استعداد للتنفيذ .. نطلب الزواج طبعاً ..



هنا كانت ( فيروزة ) قد أنشبت أسناتها فى  
نراعى !

ولم أقاوم كثيراً لأن الخدر كان يسرى فى دمسى ..  
بل إن الأمر لم يكن شيئاً إلى الحد الذى يبدو به ..

★ ★ ★

هو - الذى يمشى فى الظلال - يريدك .....

★ ★ ★

ومن يومها صار اسمى الجديد هو .. الكابوس ..

★ ★ ★

- « هل هو دواء منوم ؟ »

- « يقول الصيدلى إن مفعوله مضمون تماماً ..

ويكفى للنوم يوماً كاملاً .. »

- « وشربت منه ؟ »

- « بعدك يا ( كوثر ) .. بعدك .....

تناولت القنينة .. ورفعتها إلى فمى ..

يبدو الأمر مرعباً .. ماذا لو كان هناك خطأ ما ؟  
ماذا لو كان الدواء لا يجعلنا ( نبدو ) موتى .. بل هو  
( يجعلنا ) موتى ؟

سيان عندى .. فعينا ( فيروزة ) الصافيتان  
المناشدتان تقولان لى ألامجال للرفض واختلاق  
الأعدار ..

وجرعت جرعة طويلة حاولت ألا أتذوقها لكنى  
فشلت ..

زنجبيل مخلوط بالنعناع ! عبقرى حقاً يا أبى ..  
وصفت بدقة المذاق الذى أجهدت ذهنى باحثاً عن  
طريقة لوصفه ..

- « كيف مذاقه ؟ »

- « لا بأس .. عطرى نوعاً .. والآن دور .....

## مكايبة الشاحبة الثانية

تحكيها هي نفسها



هنا كانت (فيروزة) قد أنشبت أسنانها في ذراعي !  
ولم أقاوم كثيراً لأن الخدر كان يسرى في دمي ..

قالت ( فيروزة ) :

- يقولون إن اسمى جميل .. يقولون إن وجهى  
أجمل ..

يقولون إن حياتى سيئة .. يقولون إن مصيرى أسوأ ..

★ ★ ★

( فيروزة ) و ( ياسمينة ) البناتان الجميلتان  
لـ ( بالكوفسكو ) .. أكثر فلاحى القرية فظاظة  
وخشونة ..

إن ( بالكوفسكو ) يعيش الحياة كأنها حرب مرهقة  
يجب التوتر والصراخ فيها لمن يريد أن يرى يوماً  
جديداً .. ضغطه مرتفع .. توشك عيناه على الانفجار  
بالدم .. يوشك ويريدا عنقه على النزف ..

لقد أقسم على أن يجعل كل ثانية من حياته معنا  
جحيماً .. لا بد من الصراخ ولا بد من الركلات  
واللكمات .. يضرب زوجته لأسباب غريبة حقاً : لأن  
الشيوعيين أفسدوا الأمور فى ( روماتيا ) .. ولا تسأله  
عن ذنب المرأة المسكينة ، فهو يرى لها ذنباً عظيماً  
فى كل شىء ..

ويرى الشباب يرمقوننى باعجاب ، فكان يطلق  
السياب ، ثم يقتادنى من شعرى إلى الدار ، وينهال  
على ضرباً بحذائه الثقيل ..

- « تبأ لك ! لو ترك لى الأمر لحبستك فى برميل  
طيلة حياتك أو دفنتك فى المستنقع .. »

وبجىء القس ليزور دارنا حاملاً مبختره ، فيقول  
له فى رصاة :

- « لا تقس على نساك يا ( بالكوفسكو ) .. إن  
( فيروزة ) حسناء لكنها على خلق قويم .. ولا ذنب  
لها فى جمالها .. »

فيقول وهو يحاول أن يبدو مهذباً أمام القس :

- « لهذا أحاول أن أشوّهه بالمزيد من اللكمات !  
إن وجهها متورماً هو وجه أقل جذباً للذباب .. »  
فيرمقه القس مذهولاً باحثاً عن كلمات يقولها .. ثم  
يدعو له بالرشاد ويتركه ..

الحق أننى تعلمت منذ الطفولة أن أكره جمالى ،  
وأعتبره لعنة تلاحقتى .. فأنا أظفر بكل عيوبه دون  
مزاياء ..

- « .. لكن هذا - لو حدث في العالم كله - لن يحدث في ( رومانيا ) أبداً .. »  
وتعلمت الكثير من ( كوثر ) ..

كم من كتب جلبها لي من مكتبة أبيه - مدرس القرية - كي أغوص فيها ، وأسافر إلى عوالم نائية .. إلى ( الأهرام ) التي تلمع في ضوء الشمس على حين تغفو التماسيح في النيل .. إلى شمس منتصف الليل .. إلى قطعان الجاموس البري التي يطاردها الهنود الحمر في وديان ( كاليفورنيا ) .. إلى عوالم لا يركل فيها الناس بعضهم البعض بلا سبب ..

★ ★ ★

كانت ( ناديا ) صديقتي مريضة .. تقول أمها إن ابنتها لم تعد راغبة في مفارقة غرفتها ، ولم تعد تكلم أحداً ، وكفت عن الاستحمام حتى غدت للغرفة رائحة القبور .  
قالت لي أمها وهي تكاد تجنّ قلماً :  
- « ( فيروزة ) هلا فعلت شيئاً ؟ إنها تحبّك بشكل خاص .. »

ولا بد أنني كنت في أمس الحاجة إلى الحب حين عرفت ( كوثر ) ..

★ ★ ★

دعنا لا نخلط الأمور ببعضها ..  
فأنا جميلة حقاً ، ويمكنني أن أروق لأي شاب في قريتنا .. لكنه لن يحبني ولن يتحمل تبعات هذا الحب وتضحياته ..  
أما ( كوثر ) فكان يحبني حقاً .. يحنو عليّ حقاً .. لكنني كنت أخشى عليه نتائج علاقة شائكة كهذه ، مع مخلوقة أبعد ما تكون عن الاستقرار النفسي والعقلي .. مثلي ..

قال لي ذات مرة :

- « ثمة جريمة في العالم المتقدم اسمها جريمة ( إيذاء الأطفال ) أو ( Child abuse ) ، وبموجبها يمكن للدولة أن تنتزع طفلاً من أبويه اللذين يضرّباه كثيرًا ، لتقوم بتربيته بشكل صحيح .. »

تنهدت في حسرة وأنا أحسس الكدمة على ركبتي ،  
وقلت :

لم أجد ما أقول أو أفعل سوى أن أطلب منها أن  
تدخلني إلى غرفتها .. ومن اللحظة الأولى شممت  
الرائحة التي ستغدو جزءاً من حياتنا منذ ذلك التاريخ ..  
صاحت ( ناديا ) وهي متكومة في الفراش :

« أوصدى الباب يا حمقاء ! أوصدى الباب ! »  
نهضت للباب ، وابتسمت للأم معتذرة ثم أوصدت  
الباب بالمزلاج لأجلس وحدي في الضوء الخافت قرب  
( ناديا ) ..

برغم الظلام شبه الدامس ، كان بوسعي أن أرى  
شحوبها الشديد .. شحوب هذه الورقة لا أقل .. وكان  
رأسها مضمداً كأنما هو مجروح ..

وارتجف قلبي لأنني شعرت بأن الفتاة تموت ..  
بالتأكيد تموت .. ثمة أشياء تدعى ( سرطان الدم )  
(والتزف الداخلي) و ... و ... وكلها تجعل المرء  
شاحباً كهذه الورقة .. لكن من المستحيل أن يكون  
مرضها نفسياً ..

قالت ( ناديا ) بعد ما تبسطت قليلاً :

« إنني لم أعد أطيق الناس ولا النور .. »

« هذا لأتلك مريضة يا ( ناديا ) .. إن  
د. ( ميخائيل ) سوف ... »

« لم يفعل شيئاً ! لقد كان هنا منذ يومين وكتب  
لي هذا الدواء .. لكني لا أطيق راحته .. »  
ولوحث بقارورة صغيرة أمام عيني .. وتقلص  
فمها اشمنزراً ..

قلت لها بحنان أم تفهم الأطفال جيداً :

« كل الأدوية الناجحة كريهة المذاق يا فتاة .. »  
قالت في عصبية وهي تتاولني القارورة :

« جرّبي رشفة واحدة ، وسوف أشيد لك تمثالاً ! »  
كان عليّ أن أتشجع .. قربت القارورة من فمي  
وفتحتها .. كانت لها رائحة عطرية جعلت رأسي يدور ،  
لكني تماكنت أعصابي ورشفت رشفة ثم رشفتين ..  
حقاً ليس كريهاً أبداً ..

بعد هذا عرفت أنني في الفراش ، وأن ( ناديا )  
تنشب أسنانها في ساقي تفعل شيئاً ما .. وسمعتها  
تلهث قائلة :

« أنت لن تموتى .. ستعيشين لتكوني من إخوة  
الدم .. وعندها تلفظين كل خطايا الماضي ! »

★ ★ ★

بعد ساعة غادرت الغرفة مبيلة الأفكار ..

كنت أعرف يقيناً أن ( هو ) - الذى يمشى فى  
الظلال - يريدنى .. لكن من ( هو ) ؟  
وسألتنى الأم عن سرِّ شحوبى ، وعن عرجى  
البسيط .. فقلت :

- « لا شئ يا سيدتى .. إن ( ناديا ) نائمة الآن  
لكنها بخير .. »

وحين خرجت إلى النور الساطع خارج الدار ،  
شعرت كأننى عارية وأن الشئ الوحيد الذى يجب أن  
أفعله هو أن أجد مكاناً رطيباً مظلماً أتوارى فيه ..  
الشمس ! كيف يحيون هذا اللهب الحارق المسلط على  
الأرض ؟ كيف يتحملونها ؟

★ ★ ★

كان على أن أصنع آخرين ..  
وفكرت فى ( بالكوفسكو ) .. ثم رأيت أنه  
لا يستحق أن يغدو مناً ..

لهذا كان ( كوثر ) هو أول من فكرت فيه ..  
ناديت ( ياسمينة ) وأبلغتها رسالتى ..

والآن هأنذا أتحرك فى الظلام قاصدة الطاحونة  
القديمة ..

★ ★ ★

## حكاية الشاحبة الأولى

أو

### كيف بدأ الوباء ؟

تحكيها هي نفسها

قالت ( ناديا ) :

كنت أول من جلب ( هو ) إلى ( هالماجيو ) ..  
وإننى لفخور بذلك ..

★ ★ ★

منذ صباى كنت أهوى غرائب الأشياء ، وكان الكهف  
هناك دوماً ليذكرنى بأن فى قريتنا أشياء غامضة لم  
تتضح بعد .. فى قريتنا لم تعد هناك أسرار .. كل  
قلوب الشباب واضحة كالشمس .. كل أفكار الشيوخ  
جليئة كالماء النقى .. أعرف ما يدور برأس القس  
ورأس البقال ورأس الشرطى الوحيد .. أعرف  
ما سيحدث بعد عام وبعد عامين على وجه التقريب ..  
الخلاصة أن شيئاً غامضاً واحداً لم يبق فى قريتنا ..  
لكن الكهف ..... !

★ ★ ★

وأغرب ما فى هذا الكهف أنه - على عكس الكهوف  
كلها - غير مغلف بالأسرار .. إنه البساطة ذاتها ..  
لم يختف أحد بداخله ، ولم يمت أحد على يابه ، ولم  
نسمع منه صراخاً رهيباً فى الأمسيات المقمرة ..

وهذا فى حد ذاته يجعله فريداً من نوعه .. الكهف  
الوحيد غير الغامض فى هذه الأرض !

لم يكن أحدنا يحبه ، ولم يكن الشباب يقصدونه ، لأن  
رائحته الكريهة كانت تجعل الشباب يفرون منه .. أحياناً  
كان العشاق يدنون منه ليخطوا بالطبشور الحروف  
الأولى من أسمائهم ( الحروف الأولى التى لا تسمح  
بامتتاج أسمائهم الكاملة ) ، ويرسموا قلوباً .. لكن  
هذا هو كل شيء ، لأن الرائحة الشيطانية لم تكن  
تسمح بما هو أكثر ..

وجاء اليوم الذى بلغت فيه السادسة عشرة من  
عمرى ، وأدركت أن الوقت قد حان كى أحتفل احتفالاً  
خاصاً فريداً : لم لا أدخل الكهف وحدى ؟

الشيء الذى لم يقم به شاب واحد من شباب القرية ،  
ولم يخطر لرجل واحد هنا .. أقوم به أنا الفتاة  
الواهنة الضامرة ( ناديا هالماسكيا ) .. أليس هذا عيد  
ميلاد من نوع فريد ؟

★ ★ ★

لن أنسى هذا اليوم ما حييت ..  
كنت عائدة من المدرسة والوقت عصراً ، والحر قد

جعل دروب القرية كلها خاوية تنبعث منها رائحة  
القيظ ، ورائحة أوراق الشجر الجافة التي أوشكت  
على الاحتراق ..

كنت أركب دراجتي ، لذا قررت أن أدور دورة  
أطول من المعتاد قرب الكهف في النصف الشمالي من  
القرية .. ولم يكن هناك أحد ..

وقفت أرمق الكهف بعض الوقت .. كان الإغراء  
شديداً ..

لست أدري ما إذا كان محض خيال ، لكنني شعرت  
بالكهف العجوز ينادينى قائلاً : الآن أو لا للأبد ..

هبطت مترجلة وأرحت الدراجة على الأرض ، ثم  
دنوت - كذباية تدنو من بيت العنكبوت - وأنا أفكر :  
هل من الحماسة أن .....

ثم كيف أدخل الكهف دون حبال ولا كشافات ؟ كلهم  
يفعلون هذا في الروايات .. لكن من قال إنني سأتوغل ؟  
فقط سأدخل إلى مسافة لم يدخلها أحد قبلي قط ..

كانت أول خطوة هي الأكثر عسراً .. الخطوة التي  
جعلتني أتحنى وأمر تحت الحبل .. الحاجز الساذج  
الذي وضعوه على سبيل الواجب ..

بعد هذا كانت أربع أو خمس خطوات كفيلة بأن  
تجعلني في الداخل .. ولم يكن ملكوت الظلام قد ساد  
بعد ، لكن ملكوت الرائحة كان قد أعلن مجده ! وسمعت  
حفيف أجنحة ..

إنها تلك الكائنات المقيتة : الطوايط .. لكنها ستفر  
حتماً .. فلم يصطدم أحدها بي ما لم يكن أصم ..

واصلت المشى بقدمين ثابتتين نوعاً فوق الثرى  
المبتل .. لا بد أنني مشيت في الغبشة دقيقة لا أكثر ..  
لكنني كنت أشعر بأنني مشيت دهرًا ، وراح ذلك الجزء  
الجبان من عقلي يقول لي :

- « هلمى يا فتاة .. عودي ! لقد توغلت بما يكفي  
وبرهنت على شجاعتك .. والآن حان وقت التراجع ..  
حان وقت الفرار ! »

لكنني كنت أمره بالصمت ..  
فيعود ليقول بعد ثوان بنفس الإلحاح :

- « أما زلت مصرة ؟ أي نوع من الحمقى أنت ؟ »  
فيقول له الجزء الشجاع من عقلي :

- « هلا خرست قليلاً ؟ إنني لم أر شيئاً بعد .. ثم  
إن التراجع سيجعلني أشعر بالذعر .. سأشعر كأن  
هولاً يطاردني .. »



كنت أدرك هذا الشعور تماماً .. ما دمت أتقدم  
بجسارة سيظل الخوف نالياً عني .. الخطر كل الخطر  
هو لحظة التراجع ..

إنني أعرف ذلك المشهد الخالد في أفلام الرسوم  
المتحركة ، التي تعرضها سينما القرية مساء الأحد :  
القط يخطو فوق الهاوية دون أن يلاحظ ذلك .. يمشى  
في الهواء بضع خطوات ، ثم يتنبه إلى أن الأرض  
ليست تحت قدميه .. عندها فقط يسقط !  
هكذا الأمر دائماً .. الخطر لا يؤذينا إلا حين نعرف  
أنه خطر ..

★ ★ ★

( هو ) - الذي يمشى في الظلال - يصغى لأنفاسك  
الآن ..

★ ★ ★

من قال هذا ؟

توقفت وقد تصلب الشعر في مؤخرة عنقي .. الحق  
أن ما سمعته لم يكن صوتاً بل كان فكرة .. فكرة  
أجنبية عني لكنها وجدت مكانها في ذهني .. إن هذا  
غريب حقاً ..

في هذه اللحظة لم أكن أرى شيئاً على الإطلاق ..  
لقد صار الظلام مطلقاً .. لهذا بحثت عن عود ثقاب  
في جيبى .. أنا أحمل دائماً مشط ثقاب ولا أدري سبب  
هذه العادة ..

اشتعل عود الثقاب محدثاً الوهج الأولي الساطع ..  
ثم الضوء الخافت المتراقص المميز .. وعلى ضوءه  
أدركت أن الممر مسدود ..

★ ★ ★

( هو ) - الذي يمشى في الظلال - ينتظرك في  
شغف منذ قرون ..

★ ★ ★

إنه الصوت مرة أخرى ..  
لكن ما رأيته جعلني أكثر اهتماماً من كل ما أسمع  
في ذهني ..

إن هذا المكان مقبرة !

لم تكن كآية مقبرة رأيته ، أو تلك التي في كنيسة  
القرية .. بل هي أقرب إلى جدران صخرية ، والجدران  
قد دفنت فيها هياكل عظمية كاملة .. لكن ..  
لقد انطفأ العود بعد ما أحرق أناملتي ..

★ ★ ★

عود ثقاب آخر .. من جديد أرى ما يدور حولي ..  
 وفي هذه المرة بدأ الهلع يشلّ أفكاري ..  
 إن هذه الأجساد قد دفنت في الجدران دفناً .. ومن  
 الأيدي العظمية الممدودة خارج الجدار يمكنني أن أقسم  
 إن بعضهم قد دفن ها هنا حياً في أثناء البناء ! وكان  
 هذا كافياً كي يقهر أية شجاعة لي ..  
 هذا المكان دنس .. مكان يحمل علامة ( خريولسن )  
 نفسه .. إنه .. .. .  
 لقد انطفأ العود الثاني ..

★ ★ ★

### الهلع !

نظر القط إلى قدميه وأدرك أنه لا يمشي على أرض  
 ثابتة .. لذا جن جنونه .. حرك قدميه في محاولة  
 هستيرية للمشي .. ثم هوى !  
 أركض في اتجاه المخرج عاجزة عن ترتيب أفكاري ..  
 يدى تحاول في جنون إشعال عود ثقاب ثالث ..  
 لكن هذه الأشياء لا تتم إلا في تودة وببداً ثابتة ..  
 و .. آى ! لقد ارتطم رأسي بواحد من تلك الأشياء  
 المدببة التي تحب التمدلى من سقوف الكهوف ..



بل هي أقرب إلى جدران صخرية ، والجدران قد  
 دفنت فيها هياكل عظمية كاملة ..

يبدو أنهم يسمونها ( الهوايط ) .. لكن ( الجيولوجيا )  
هى آخر ما يمكننى تذكره الآن ..  
إبنى .. أى ! ضربة أخرى ..  
شعور الليل الساخن على جاتب وجهى لا يعنى  
سوى شيء واحد ..

المذاق المالح فى الفم .. المذاق الصدى قليلاً ..  
و .....

★ ★ ★

ظلام !

★ ★ ★

كنت على منضدة خشبية قاسية أرمى السقف غير  
قاهرة نشيء .. ورأيتهم - بين اليقظة والنام - يحيطون  
بى .. عددهم حوالى الخمسة يرتدون ما يشبه مسوح  
الرهبان السوداء ، لكنهم يغطون بها وجوههم تماماً  
فلا تستطيع تبين ملامحها ..

وأدركت أننى موجودة فيما يشبه بهو قصر قديم ..  
قصر أو قلعة .. أنكر البرد الشديد الذى كان يسرى  
فى عروقى ، والشعور اليقيني بأن هذا كله حلم من  
أحلام سقطتى ..

كانوا يتحدثون بلغة رومانية قديمة من التى  
نطالها فى كتب المدرسة .. وثمة عدد من المشاعر  
تلقى ظلالها على المكان ممزوجة برقصة الضوء ..  
لكنى لم أكن خائفة ..

قال واحد منهم بصوت متحشرج قليلاً :

- « هانتذى يا فتاة بيننا .. لقد اجتزت الثغرة إلى  
( جانب النجوم ) .. »

وقال آخر بصوت مبحوح :

- « إن سنك مناسبة حقاً .. فنحن نفضل من هى  
على أعتاب الشباب .. إهن أكثر اتصالاً بالآثير وأكثر  
انفصالاً عن المادة .. »

وقال ثالث بصوت مخنوق :

- « أنت المختارة إذن .. التى جاءت بمحض إرادتها  
الحرّة لتنزق دمها الشباب فى المحراب .. »  
ثم بصوت أمر :

- « ها! الإسمير أيها الأخ ( سانجينيوس ) (\*) .. »  
وشعرت بالقرارورة تدنو من شفتى .. ولم يقل

(\*) إن ( ناديا ) لا تعرف اللاتينية .. لذا لا تعرف أن  
( سانجينيوس ) مشتقة من ( سانجينيوس ) بمعنى ( دم ) ..

أحدهم لى أن أشرب .. لكنى فعلت مدفوعة بظماً  
حارق .. كان الشراب عطرياً قليلاً له مذاق حريف ..  
فما إن فرغت من احتسائه حتى سمعت تنهدات  
الراحة ..

بعد هذا لا أذكر ما حدث بالضبط ..

فقط كنت غير واعية ، لكنى أسمع صوت أحدهم  
يقول :

« أنت لن تموتى .. ستعيشين لتكونى من إخوة  
الدم .. وعندها تلفظين كل خطايا الماضى .. »  
وأسمع آخر يقول :

« ( هو ) - الذى يمشى فى الظلال - يريد منك  
أن تجلبى له آخرين .. »  
وأسمع ثالثاً يقول :

« فلتعودى من ( جانب النجوم ) يا فتاة .. »  
« ولتأهبى لقدوم ( هو ) .. ( هو ) الذى يمشى  
فى الظلال .. »

« ( هو ) - الذى يمشى ..... »

ثم لا شيء ..

★ ★ ★

وكنت خارج الكهف من جديد .. ممزقة الأوصال  
مزعزعة الكيان ، لكنى تحاملت لأقف على قدمى ..  
كانت الشمس قد غابت لكن الأفق لم يعد مظلماً  
بعد ..

وتحسست جيبي .. كانت هناك قارورة صغيرة ،  
وعرفت دون سؤال أو حاجة لأن أفتحها ، أنها تحوى  
الإكسير .. أو المادة الخام له ..

هى ذى دراجتى .. حيث تركتها بالضبط منذ  
ساعات ثلاث ..

ركبتها واتطلقت نحو دارى ..

كنت أعرف أن على أن أجد شخصاً آخر لنغدو  
اثنين ..

لقد اخترانى ( هو ) - الذى يمشى فى الظلال -  
عالمًا أتنى لن أخذه ..

وكان على أن أبدأ بـ ( فيروزة ) ..  
من سواها ؟

★ ★ ★

قال (جوستاف) :

- لم تكن نعرف شيئاً عن كل هذا ، حين راح أولئك  
المسوخ يدفعوننا دفقاً إلى الكهف وهم يتصايحون ..  
واتحينا كي نمرّ تحت الحبل الذي وضعوه على  
المدخل .. ثم وجدنا أننا نقف أمام المدخل عطن  
الرائحة تتبادل النظرات ..  
سألت (رفعت) وأنا أرمق لوجوه في ضوء  
النيران :

- « هل تريد رأيي يا (رفعت) ؟ واضح أنهم لن  
يدخلوا معنا .. »

قال لاهثاً وهو يستجمع وعيه المبعثر :

- « لا بأس .. هذا يبدو أفضل .. »

وأردف وهو ينظر للمدخل المظلم :

- « نحن نعرف ما ينتظرنا مع هؤلاء القوم ..  
وهو أسود من الليل وألعب من الشياطين .. لكننا  
لا نعرف ما ينتظرنا بالداخل .. أفضل أن نجرب هذا  
الاحتمال .. »

## حكاية الصحفي البدين

يحكيها هو بنفسه

ابتلعت ريقى ودست يدي في معطفى ، وقلت :

- « حسن .. ابدأ أنت بالدخول إنن ! »

★ ★ ★

رحنا نخطو فى الظلام إلى أن مددت يدي فى جيب المعطف ، وأخرجت الكشاف .. وعلى ضوءه تحسن الأمر قليلاً ..

وقفت و( رفعت ) بضع دقائق نرمق المكان الذى نقف فيه ، والذى كان كهفاً عادياً جداً .. ولم تكن هناك وطاويط لحسن الحظ .. يبدو أنها خرجت باحثة عن رزق ليلتها ..

سألنى ( رفعت ) وهو يتحسس الجدران المغطاة بالكلس :

- « هل سبترونا نخرج ؟ أعنى هل سنظل هنا للأبد بانتظار الموت أم أن التجربة انتهت عند هذا الحد ؟ »

مططت شفتى السفلى بمعنى أننى لا أعرف ..

ثم أشرت له كى تتوغل أكثر فأكثر ..

لم تكن هناك فرصة كى نضل طريقنا لأن الكهف عبارة عن ممر واحد ليست له ممرات فرعية .. ليس أمامك سوى التقدّم أو التراجع ..



رحنا نخطو فى الظلام إلى أن مددت يدي فى جيب المعطف ، وأخرجت الكشاف .. وعلى ضوءه تحسن الأمر قليلاً

كان الثرى مبتلاً فثمة قطرات مائية تتساقط من  
السقف ..

وعلى ضوء الكشاف رأينا عشرات من العيون  
الحمراء البراقة ، ترمقنا في دعر حقيقي ، جوار  
الجدران ..

فئران .. وأنا أمقتها .. لكنها مذعورة مثلنا أو  
أكثر ..

أخيراً - بعد عشر دقائق من المشى - وجدنا  
شيئاً ما ..

وسمعت ( رفعت ) يقول وهو يثبت عويناته على  
قصبه أنه ليرى أفضل :

- « مقبرة ! أو - بمعنى أدق - جثث تم دفنها في  
الجدار ! »

★ ★ ★

رحنا نتأمل المشهد على ضوء الكشاف .. كانت  
هناك نحو العشرين جثة ، وقد تم دفنها واقفة في  
الجدار ، وإن ظل جزء منها خارجه .. ومن الأيدي  
العظمية الخارجة من الجدار ، والتي بدا كأنها تحاول  
اقتناصنا أو إمساك أي شيء من ثيابنا ؛ عرفنا

الحقيقة المفزعة : لقد دفن هؤلاء أحياء ، ولم يعبا  
أحد بتوسلاتهم ، بينما مادة البناء تجف ببطء !

سألني ( رفعت ) وهو يخرج من جيبه العلبة إياها ،  
ليدس قرصاً تحت لسانه ، محاولاً منع قلبه من التوقف :

- « هل تعرف موضوعاً كهذا في تاريخكم ؟ »

- « بالطبع لا .. هل تحسبنا وحوشاً ؟ »

- « لا سمح الله .. لكن تاريخكم حافل بقطع الرقاب

والخوازيق وخلافه .. ولربما كان موضوع الدفن

في الجدران معروفاً عندكم .. لقد اعتمد ( نبوخذ

نصر ) على أجساد الأسرى في أثناء بناء سور

( بابل ) العظيم .. أي أنها طريقة قديمة قدم البناء

ذاته .. »

- « لا أحد يدفن البشر في جدار ما لم يكن

مخبولاً .. »

دنا ( رفعت ) من أحد الهياكل العظمية ، وتأمل في

اهتمام .. كان يمثل النصف الأيسر لرجل كامل على

حين اختفى النصف الأيمن داخل الجدار ، وكان الكلس

وعوامل القدم قد جعلاه يبدو أقرب إلى نحت متقن

منه إلى إنسان ..

- « رفعت ) ! هل ستخرجه بالكامل ؟ »  
كانت مهمة قذرة .. لكن العظام أقل رهبة من  
الجثث الكاملة على كل حال .. خاصة العظام التي  
نظفتها القرون ..

لكن ( رفعت ) لم ينتو إخراج الهيكل بكامله ..  
رأيته يشير إلى شيء معلق حول عنق الميت ..  
قربت ضوء الكشاف وتأملته .. إنه صليب أترى  
عتيق .. ولكن ماذا في ذلك ؟

رأيت ( رفعت ) يخرج شيئاً آخر .. شيئاً يشبه  
الوتد الغليظ قد انغرس وسط الضلوع فهشم أكثرها ،  
واتزرعه بصـ .. ية بالغة ..

وقف يتأمل الوتد البالي في ضوء الكشاف .. ثم  
قال بصوت هادئ :

- « الأمر واضح .. هذه جثث مصاصى دماء ! »

★ ★ ★

- « عمّ تتحدّث يا ( رفعت ) ؟ هل ستردد بدورك  
هذا الهراء ؟ »

قال وهو يقذف الوتد إلى الأرض :

رأيته يعالج الصخر المحيط بالشيء بأظفاره ، وهو  
جهد بلا جدوى طبعاً ، لذا مددت يدي في جيبي  
لأناوله مطواتي الفاخرة :

- « جرب استعمال هذه .. »

تأمل المطواة ، وفتحها .. ثم نظر لى .. وقال دون  
أن يضحك :

- « هل أنت واثق من أنك لا تحمل ديبابة في جيب  
هذا المعطف ؟ لو كنت تحمل فراشاً للتوم أرجو أن  
تخبرنى .. لأن .. .. »

وهنا كان نصل المطواة قد غاص في الحجر  
المتآكل .. وراح يحاول أن يخلخله ليرفع جزءاً منه ..  
أخيراً بعد جهد حذر سقطت بضعة أحجار على الأرض ،  
وعاد هو يواصل ما بدأه على ضوء الكشاف ..

- « احترس يا ( رفعت ) .. لو اتكسر نصل المطواة

لـ .. .. »

مزيد من الحجارة يسقط .. أخيراً تحرر ثلثا الجسد  
عند الصدر .. واستطعت أن أرى خرق القماش البالية ..  
ثياب هذا الشيء التي كان يرتديها منذ يعلم الله وحده  
متى ..



نظرت إلى الكشاف في قلق .. لقد نسيت هذه  
العادة السيئة لدى الكشافات ..  
قلت وأنا أركل الوتد على الأرض :  
- « اظمن .. إن ضوء هذا الكشاف لا ينتهي إلا  
عندما ينتهي ! »

\* \* \*

- « أردده لكنى لا أصدقه بالضرورة .. الأمر واضح ..  
هذه الجثث دفنت في الجدار بعد غرس الأوتاد في  
قلوبها وتعليق الصلبان حول أعناقها .. وبرغم هذا لم  
يمت الجميع ..

« إنها الطريقة التي لجنوا إليها في القرون  
الوسطى ، للتخلص من مصاصي الدماء ها هنا ..  
والأسطورة تقول إن مصاص الدماء يظل ميتاً حتى  
ينزع أحد الحمقى الوتد من قلبه .. ومن الواضح أن  
فكرة الدفن في الجدار مثالية لمنع انتزاعه .. »  
- « وأنت نزعته هذا الوتد ! »

قال في ازدياء :

- « الموتى لا يعودون للحياة قبل قيام الساعة ..  
هذا هو الشيء الوحيد الذي أتق به هنا .. »  
ثم نظر إلى ساعته ، وسألني وهو يجفف عرقه :  
- « كم لبثنا ها هنا ؟ »  
- « ما يقرب من ساعة .. »  
- « وهل هذا الكشاف قادر على تحمل فترة  
أطول ؟ ! »

وعلى ضوء الكشاف الذى ما زال قويًا لحسن  
الحظ، واصل ( رفعت ) الحفر بالمطواة فى جزء آخر  
من الجدار .. الجزء المواجه لنا .. وكان هشًا جدًا ..  
قلت له فى سأم :

- « ماذا تحاول عمله ؟ لن تثقب الكهف بالمطواة  
أبدأ .. »

قال والعرق يغمر صلعته ، وقد بدأ فى اللهات  
كالمذءوبين :

- « هه .. هه ! أحاول التأكد من أن .. هه ..  
هذا الجدار لا يفصلنا عن بقية .. كوح كح ! الكهف  
ف .. »

- « لكنك ستقضى نحبك قبل التأكد من شيء .. »  
- « إبنى بكامل لياقتى .. ومازال .. هه ! قرص  
( التترات ) تحت لساتى .. »  
وهنا صمت ..

لقد رأينا وراء الصخور التى تفتتت بما فيها ..  
المعالم الخارجية المتسخة لباب خشبى عملاق ..

باب عليه صليب هائل الحجم ، وقد ازدان - الباب -  
بنقوش معقدة جدًا ..

نظر لى ( رفعت ) نظرة من نوع ( هل - رأيت -  
كم - أنا - ذكى - يا أحمق ؟ ) .. ثم تناول الكشاف  
منى وراح يتفحص الباب العملاق ، ودون كلمة أخرى  
واصل انتزاع الحجارة بيده الحرة ..

أخيرًا - بعد عشر دقائق - صار الباب جليًا لعيوننا ..  
وزال لى كل شك فى أننى أحطم .. هذا الشيء  
موجود حقًا ..

- « رباه ! يبدو لى كباب الجحيم ! »  
قال ( رفعت ) وهو يجلس على الأرض يلتقط  
أثفاسه :

- « لن يدعشنى هذا .. فقد أغلق أحدهم هذا الباب  
يومًا ، ثم بنى وراءه جدارًا قواه بجثث مصاصى  
الدماء .. فماذا يمكن أن يكون وراءه ؟ ليس ( بابا  
نويل ) بالتأكيد .. »

وطوح لى المطواة :

- « مطواتك ! »

أما أنا فراحت عينائى تفتشان فى الخشب العملاق

المآكل .. خشب عاش قروناً .. وأخيراً وقعت عيناي  
على وثيقة من جلد الحيوانات المدبوغ ، مغيرة جداً ،  
قام أحدهم بتثبيتها على الخشب ..

وكانت مكتوبة بحروف سنلافية عتيقة بولغ فى  
زخرفتها .. لكنها مفهومة مقروءة .. قلت لـ ( رفعت )  
وأنا أقرب الكشاف من الوثيقة :

- « إنها تنصحننا بعدم فتح الباب .. »

أراح رأسه للوراء ونزع عويناته .. وتلهّد :

- « ما كنت لأحتاج إلى وثيقة أثرية تخبرنى  
بهذا .. »

أردفت وأنا أبعد عيني عن الورقة ، وأنزع عويناتى  
بدورى لأرى أفضل :

- « إليك المكتوب .. إنها لغة رومانية قديمة جداً  
لكنها مفهومة لمن كان مثقفاً مثلى :

- « فلينتصر من على حق .. »

« أنا الكونت ( ستيفانو ) هراوة الرب ، ومنفذ كلمته  
فى هذه الربوع ، أكتب للأجيال القادمة كى أحذر  
أبناءها من فتح هذا الباب ..

« إن شراً مستطيراً قد حلّ بقرية ( هالماجيو ) من

أعمال ( بوكوفينا ) ، واستغاث بنا القرويون أنا  
الكونت ( ستيفانو ) حامل راية الأسد المجنح وحامى  
حمى الكنيسة ، لذا جننا ها هنا واستطعنا بفضل العلى  
القدير أن نستأصل شأفة الموتى الأحياء والد ( فامفيرى )  
من البلاد .. »

سألنى ( رفعت ) عند هذا الجزء :

- « ما الـ ( فامفيرى ) ؟ »

- « مصاصو الدماء .. لاحظ تشابه الكلمة مع  
لفظة ( فامباير ) ( Vampire ) الإنجليزية التى تعنى  
الشئ ذاته .. »

ثم واصلت القراءة :

- « واستطعنا - بعون العلى القدير - أن نجد بوابة

الجحيم التى يأتى منها الـ ( فامفيرى ) إلى عالمنا مما  
يسمونه ( جانب النجوم ) ، ولقد أغلقناها بإحكام

ورش الآباء عليها الماء المقدس وصلوا كثيراً ، كما

قمنا أنا الكونت ( ستيفانو ) سليل العظماء بدفن كل

الـ ( فامفيرى ) فى الجدار الذى أحكمنا به غلق

الباب ..

« لكن الباب قد يفتح لو تلوث هذا الكهف بدم



قال وهو ما زال جالساً على الأرض يتأمل عويناته في يده :  
- « رأيت أن هذا الكونت لا يكف عن امتداح نفسه .. »

عذراء شابة ، عندها يعمّ الهول وتغزو الأبالسنة  
الأرض لتملأها جوراً ..

« أقول للأجيال القادمة التي قد تجد هذا الباب :  
إياكم وفتحته .. هذا الباب هو مدخل الشياطين إلى  
عالمنا ، وهو واحد من سبعة مداخل في ( رومانيا ) ،  
لكنه أكثرها هولاً وخطراً .. »

« انتهت رسالة الكونت يا ( رفعت ) .. ما رأيك ؟ »  
قال وهو ما زال جالساً على الأرض يتأمل عويناته  
في يده :

- « رأيت أن هذا الكونت لا يكف عن امتداح نفسه ..  
لم أر أحداً يلقب نفسه بكل هذه الألقاب في عشرين  
سقطراً .. »

- « أنا لا أملك مزاجاً لسماع دعاياتك السخيفة ..  
كن جاداً ! »

قال لى ( رفعت ) وهو يرتدى عويناته ، وينهض :  
- « حسن .. سأسمع رأيك أولاً ثم أقول لك كم أنت  
غافل .. »

أطفأت الكشاف لأدخره قليلاً ، ثم قلت في الظلام  
الدامس :

- « أنت تعرف موضوع الفتحات التي تصل ما بين  
عالمنا و( جانب النجوم ) .. من الواضح أن إحدى  
هذه الفتحات موجودة في هذا الكهف ، وهو ما عرفه  
الناس منذ زمن ، وحاولوا غلقها بهذا الباب وبجثث  
مصاصى الدماء .. ويبدو أن الفتحة ظلت مغلقة  
قرونًا ..

« الآن يمكن القول إن إحدى مراهقات القرية دخلت  
ها هنا .. وجرحت نفسها .. بلل دماها - دم العذراء -  
الأرض .. وهكذا بدأ الكابوس وتسرب مصاصو الدماء  
إلى هذه القرية البائسة ليحيلوا حياتها جحيمًا ..  
« ما أريد قوله هو أن هذا الباب غير موصل .. »  
« فلنتأكد .. »

ونهدت لأعيد إضاءة الكشاف وأسقطه على الباب ..  
كل شيء يبدو على ما يرام .. لكن .. ها هو ذا  
مزلاج منزلق عن موضعه .. مزلاج عملاق يصلح  
لغلق بوغاز .. لكنه ليس مغلقًا ..

هوذا مزلاج آخر مفتوح .. بالواقع إن الباب  
موارب ، لكنه ليس موصلًا على الإطلاق ..  
نظرت لـ ( رفعت ) ، ونظرت ( رفعت ) لى ..

- « ما رأيك ؟ »

- « أنت محق .. ومن هذا الباب سيأتى الكابوس .. »

- « أى كابوس ؟ »

- « الشيء الذى أرغمونا على دخول الكهف من  
أجله .. فهم بالتأكيد لم يدخلونا هنا كى نثرثر فى  
الظلام .. »

ارتجفت للفكرة ، وعاودت تأمل الباب الموارب ..  
هل نرجع ؟ سيفتك بنا هؤلاء الممسوخون بالخارج ..  
هل ننتظر هنا ؟ سيفتح الباب ويخرج منه ما لا أطيع  
رؤيته حتمًا ..

وهنا جاءتنى الفكرة الوحيدة التى بدت معقولة :

- « ( رفعت ) .. قد يكون هذا الباب وهمًا .. لِمَ  
لا نفتحته ونرى ما وراءه ؟ »  
- « هل جننت ؟ »

- « بالعكس .. إنها الطريقة الوحيدة لفهم ما يحدث  
وربما النجاة .. من أدراكنا أن هذا الباب لا يقود إلى  
خارج الكهف وربما خارج القرية ؟! »

★ ★ ★

قال د. ( رفعت ) :

- « الرعب خلف باب مغلق » ..

لن تكف هذه التيممة عن إشارة ذعرنا حتى تقوم  
الساعة أو يستبدلوا بالأبواب اختراعًا آخر ..

★ ★ ★

في تودة ربط ( جوستاف ) الحبل حول خصره ،  
وكنت أحمل هذا الحبل في جيب معطفي .. طوله  
خمسة أمتار لكنه جيد متين .. أمسكت بالطرف الآخر  
وربطته حول معصمي .. بهذا الحبل لن نضل طريقنا  
أو يتعثر أحدنا في حفرة ما ..

أخذ شهيقًا عميقًا ودنا من فتحة الباب ، ونظر  
لى .. ثم غمغم :

- « كن حذرًا .. انتظر حتى يصير الحبل مشدودًا  
ثم اتبعني .. يجب أن يكون أحدنا في أمان لينقذ الآخر  
لو حدث شيء .. »

- « حافظ على الكشاف .. فإن لقيت حتفك لا تنس  
أن تعيده إلى .. »

## حكاية الطبيب النجيل

يحكيها هو بنفسه

وارب الباب فى حرص بضعة سنتيمترات .. لم يحدث شىء .. رفع الكشاف قليلاً ليتفقد ما وراء الفتحة ثم هز رأسه .. لم أفهم معنى هذه الهزة .. يمكن أن يكون معناها ( لا شىء ) أو يكون ( يا للهول ! ) .. المهم أنه اجتاز الباب وعبر إلى جانبه الآخر ، ومعه عبّر الضوء .. وكذا وجدت نفسى فى ظلام دامس كظلام الرحم .. أو كظلام القبر .. وحسبت أنفاسى وأصغيت فى اهتمام لما يحدث بالجانب الآخر ..

هنا لم يعد الإصغاء ذا أهمية ما ..

★ ★ ★

سمعت الصراخ الشنيع والزئير .. وسمعت صوت الرياح .. وراح الباب يترجرج كأنما يوشك أن يخرج من حلقة ..

ومن الفتحة المواربة تسرب شعاع أحمر مريع ، وتسرب دخان لا أدرى هل هو أحمر أم هو يعكس لون الشعاع ..

« ( جوستااااااااااا ! ) »

صرخت حتى خرج لساتى من أصوله .. صرخت

حتى وثبت عينائى من محجريهما ؛ فالذعر الذى ضمرنى كان أعق من أى تعقل ..

« ( جوستااااااااااا ! ) »

أنصقت ظهرى بالباب جاهداً كى لا تجذبنى قوى الهلاك إلى الداخل ، أو تخرج لى حيث أنا ..

صوت الصراخ والعواء والأنين والخور والغطيط والتواح والعويل والبكاء والثبور .. كل هذا يمزق ظهلتى أدنى ..

وشممت الرائحة الشهيرة : رائحة الكبريت .. رائحة مصاصى الدماء ..

« ( جوستااااااااااا ! ) »

وتحرك الباب بقوة ، فرماتى إلى الوراء مترين ، وتوتر الحبل ..

★ ★ ★

هنا انفتح الباب قليلاً ، وطار الكشاف إلى الداخل ليسقط فوقى .. ثم رأيت النصف العلوى لـ ( جوستاف ) يبرز من فرجة الباب .. يتشبث به فى قوة ، وعلى وجهه علامات ذعر حيوانى لم أرها قط ..

« ( رفاعات ! إتهم يجذبوننى ! ) »

هرعت إلى الباب واعتصرت كم معطفه ، وتراجعت  
للوراء .. كانت قوى الجذب غير عادية .. لقد تذكرت  
هذه اللحظة كثيراً فيما بعد حين رأيت سمكة القرش  
العلاقة تجذب الصياد إلى الأعماق في فيلم ( الفك  
المفترس ) ..

لكني كنت أملك الحبل .. وسرعان ما قمت بلفه  
حول صخرة كبيرة بارزة من الأرض .. بهذا ضمنت  
ألا يضيع الرجل لو تخاذلت أنا .. ثم رحت أجذبه بكل  
قوى وأنا أردد آية الكرسي والمعوذتين وكل ما في  
قلبي من أدعية ..

أخيراً بدأتنا نكسب المعركة .. بدأ يلين .. وسرعان  
ما لحق بي إلى الداخل .. وأغلقت الباب وراه ..  
ولدقائق رقدنا نلهث وظهرنا للباب ، شاعرين  
بضربات هائلة من الجانب الآخر .. قلت لـ (جوستاف)  
مطمئناً :

- « لا تخش شيئاً .. إنهم يحاولون إرعابنا ..  
يستطيعون الدخول في أية لحظة لو أرادوا .. هم فقط  
غير راغبين ! »

لم يرد .. كان منهمكاً في صلاة طويلة باللغة

الرومانية .. وشفته تترجفان .. لقد تهشمت عويناته  
وتبعثر شعر رأسه الواهن .. أتامله تهتر كذيل حية  
الجرس .. ماذا رآه بالضبط ؟

أخيراً هدأت الطرقات وأمكنني أن أسترخى قليلاً ..  
نظرت لمزلاجي الباب المفتوحين الصدين ، وأدركت  
أنه من المستحيل أن أغلقهما .. الباب كله لا يمكن  
غلقه ..

فلأمل أن الكائنات على الجانب الآخر لا ترغب في  
الخروج الآن .. ربما هي - فقط - ثارت وماجت لأن  
( جوستاف ) دخل لها ..

سألته في هدوء وبصوت يحاول ألا يفزعها :  
- « ( جوستاف ) .. ماذا رأيت هناك ؟ »  
لم يرد .. فعاودت السؤال :

- « ( جوستاف ) .. ما الموجود هناك ؟ »

ظل صامتاً فنظرت له متوقفاً أن يكون قد مات ..  
كلهم يفعل ذلك في السينما ، لكنه كان حياً .. فقط كان  
متسع العينين يرمق الباب في بلاهة ، وانفتح فمه  
فسمال اللعاب منه ، لكنه لم يبال به ..



حقاً إننى فى مأزق .. سجين هذا الكهف الذى ينتظر  
مصاصو الدماء الشاحبون خارجه ، وينتظر ( جانب  
النجوم ) بداخله ، وعلى أن أواجه هذا مع رفيق فقد  
عقله نهائياً !

★ ★ ★

- ٢ -

رائحة الكبريت هذه !

★ ★ ★

على أن أجد حلاً سريعاً ..

لقد بدأ ضوء الكشاف يخبو .. عرفت هذا لأننى  
كنت منذ دقائق أجلس فى هذا المكان وأرى تفاصيل  
الباب ، أما الآن فقد صار الباب مبهماً غارقاً فى  
الظلال .. و ...

★ ★ ★

( هو ) - الذى يمشى فى الظلال - ينتظرك ..

★ ★ ★

ولكن ما الذى رآه ( جوستاف ) ؟ ما الذى يراه  
المرء ويجعله يجن ويفقد النطق ؟ الحق أننى لا أريد  
أن أعرف .. ( فى قصة قادمة سأحكى للقارئ رحلتى  
إلى جانب النجوم وما رأيت فيه ، لكن دعنى أعترف  
أننى لم أزر جانب النجوم فى المغامرة التى بين يديك  
الآن ) ..

الكشاف يضعف أكثر ..

لا سبيل إلى مغادرة الكهف عن طريق الباب ..  
لا سبيل إلى مغادرته عن طريق الفتحة التي يحيط بها  
الشاحبون ..

هل أنتظر للصبح عندما يغادر هؤلاء مكاتهم ؟  
نظرت لساعتي فوجدت أنها الواحدة بعد منتصف  
الليل .. أنا لا أضمن نتائج بقالى ها هنا ست ساعات  
كاملة حتى تملأ الشمس السماء .. ربما كان كهف  
المفاجآت هذا يحوى المزيد من الأسرار الشائقة لنا ..  
هل تحرك هذا الهيكل ؟ لا .. لا أظن .. إنها لعبة  
الظلال إياها ..

★ ★ ★

( هو ) - الذى يمشى فى الظلال - يعرف كيف  
يشير هلعك ..

★ ★ ★

هنا قرّ رأبى على فكرة خطرة ..  
خطرة لكنها مغرية ..

الشاحبون ينتظرون خارج الكهف .. ينتظرون ماذا ؟  
ينتظرون هلاكنا أو تحولنا إلى شاحبين مثلهم .. لقد  
قالوا إن علينا أن نغدو منهم .. فماذا لو حدث هذا ؟

إنها لعبة خطيرة .. خاصة وقد أصيب مترجمى  
الوحيد المختص بالترجمة ( الرومانية / الإنجليزية )  
بالخبال .. ولن أعرف أبداً ما سيقول هؤلاء القوم ..  
لكننى لن أتردد أكثر .. سأحاول أن أودى دورى  
جيداً ..

★ ★ ★

كان هناك الكثير من الحجر الجبرى على الجدران ،  
فرحت أفركه بيدي ثم مسحت كفى على وجه  
( جوستاف ) المكتنز .. لم يبد أنه لاحظ شيئاً .. رأيت  
اللون الأبيض يغمر البشرة فرحت بكفى أحاول جعله  
أكثر تجانساً .. وأخيراً بدا لى ( جوستاف ) كعفريت  
أبيض البشرة .. لكن ..

( فلنأمل ألا يعرق .. إن العرق يفسد كل شيء )

حاجباه اكتسبا اللون الأبيض بدورهما ، فرحت  
أنظفهما بلعابى .. لا بأس لن يضايقه هذا ..  
قمت بنفس العمل لنفسى وأحكمت مسح صلعتى ..  
ونظفت حاجبى وشاربى جيداً .. ثم مددت يدي إلى  
جيب ( جوستاف ) وأخذت المطواة ..  
آى ! كادت ساقى تقتلنى ألمًا حين أدميتها بالنصل ..

لكن لا حيلة لي في هذا .. لا بد من بعض الدماء على الشففتين لتعطى تأثيراً درامياً قوياً .. وهكذا لطخت شفتي (جوستاف) وشفتي و ..

( لا بد أن هناك ثغرات كثيرة في هذا التكرار )

بعثرت بعض قطرات الدم على ياقة قميصه وقرأء (الاستراخان) إياه ..

وكان آخر شيء فعلته هو أن مسحت يديه حتى المعصمين بالجير ، وفعلت الشيء ذاته مع يدي .. إن الجير يحرق .. وقد شعرت بجلدي ينن شاكياً .. لو خرجنا حين من هذا الموقف لعولجنا من (الإكزيما) لمدة عامين ..

والآن - وقد تم إخراج المشهد - علينا أن نغادر هذا الكهف حالا .. وقبل أن يلفظ الكشاف آخر أنفاسه ..

★ ★ ★

رائحة الهواء النقي تبعد عنا رائحة الكبريت .. (جوستاف) يمشى ورأسى وأنا أجره من يده ، كأنما هو إنسان آلي .. فما إن رأيت مدخل الكهف ، وأشباح الواقفين خلفه ، وضوء النيران التي أشعلوها ؛ حتى أدركت أن خطتي فاشلة ..

من قال إنني أستطيع خداع هؤلاء بتنكر ساذج ، قمت بعمله في ضوء كشاف يحتضر ؟ ألن يتحسس أحدهم بشرتي ؟ ألن يبذل العرق جبينى ليفسد كل شيء ؟

لقد كنت - للمرة البليون - ساذجاً .. ساذجاً ..

لكنى قررت الاستمرار في حماقتي .. يقولون للمبتدئ في القيادة : إذا أخطأت فلا تتردد .. واصل حماقتك لأن التردد قد يحدث كارثة .. إذن فلا واصل حماقتي .. ولأمل أن يكونوا أحمق مني ..

★ ★ ★

جميعاً كانوا هناك .. ( شيطان الظلام ) .. ( نهر النار ) .. ( الروح الكبرى ) وآخرون .. بوجوههم المسخية المتأكلة يرمقوننا في فضول ..

شخصت ببصرى إلى السماء مقلداً (صالح سليم) في (الشموع السوداء) ، أو كأننى (أحمد مرعى) في فيلم (المومياء) .. فقد كان يكفينى أن تلتقى عيناي بعيني أحدهم ليفتضح كل شيء ، ومشيت بينهم متصلب الخطى ، متقمصاً دور من رأى تجربة مروعة ..

سمعتهم يتهامسون .. والأخت الكبرى تتكلم  
بالرومانية ، وتشير بكفها ذى الإصبعين المفردتين ..  
ماذا تقول يا ترى ؟ تشكك بالتأكيد ..

سمعتهم يوجهون الكلام لـ ( جوستاف ) لكنه - دون  
تمثيل - كان فى أسوأ حالة ممكنة .. وكان هو ورقى  
الرابحة الوحيدة ..

رحت أردد كالمجنوبين الكلمة الرومانية الوحيدة  
التي أعرفها الآن :

- « فامفيرى ! فامفيرى ! »

فشهق بعضهم ، وتبادلوا النظرات من جديد ..  
وسمعت اللفظة تتردد بين صفوفهم :

- « فامفيرى ! فامفيرى ! »

يفسحون لنا الطريق .. لكنى لا أجرؤ على النظر  
لوجوههم كى أرى ما إذا كانوا يشكون أو يتساعلون ..

هل التمثيل مقنع إلى هذا الحد ؟

الحق أننى - فى هذه اللحظة - كنت ألعب دورى

بعبرية ( لورانس أوليفيه ) و ( سارة برنار )

و ( جورج أبيض ) و ( يوسف وهبى ) ، لو أنهم

اجتمعوا فى شخص واحد .. وصرت أتفلس

كالـ ( فامفيرى ) ، وأفكر كمصاصى الدماء ، وأمشى  
كالشاحيين ..

كانوا يفسحون لنا الطريق ..

وراح أمل وحشى يتلاعب فى صدرى .. لكنى لم

أجرؤ على الاعتراف به ..

أتراهم يتركوتنا تغادر المكان ؟

أتراهم يهابون اعتراض طريقنا باعتبارنا صرنا

صاحبى مكاتة عظمى ؟

أتراهم ؟

★ ★ ★

هنا سمعت صوتاً أسود قاتمًا كئيبيًا له نبرات البير ،

يقول بالانجليزية لها طابع ( أوروبا ) الشرقية :

- « عرض جيد يا د . ( رفعت ) .. لكنه لم يخدع

أحدًا ! »

واستدرت مبهورًا ..

لقد عرفت الصوت .. لكنى أردت أن أتأكد من الوجه ..

كان هذا هو د . ( لوسيفر ) ( \* ) !

★ ★ ★

( \* ) تنويه لمن لم يقرأوا الكتيب العشرين : كان د . ( لوسيفر )

هو بطل الكتيب العشرين !



كان ( هو ) .. بشحمه ولحمه .. ثيابه السوداء القاتمة والقرط في أذنه ،  
والخواتم الماسية العديدة في أصابعه ، والقلادة الذهبية على صدره ..

- ٣ -

أردف قائلاً :

« إنهم لم يصدقوك لحظة يا د. ( رفعت ) خاصة  
مع هذا التكرار السقيم .. لكنهم ظنوك جننت .. لهذا  
يراقبون ما سنتتهى إليه هذه المهزلة ! »

★ ★ ★

كان ( هو ) ..

بشحمه ولحمه .. ثيابه السوداء القاتمة والقرط في  
أذنه ، والخواتم الماسية العديدة في أصابعه ، والقلادة  
الذهبية على صدره ، والنظرة الخاوية التي لا تدل  
على شيء على الإطلاق ..

« مدهوش أنت للقاء من لا ترتقب لقاؤه ! »  
وابتسم ابتسامته الواثقة الكريهة ، ومدَّ يده يبغى  
مصافحتي ، لكنني لم أفعل ، ورحت أرمق الوجوه  
الشائهة التي عادت تحتشد حولنا ..

قال بصوته الذي يجعلك تتمنى سماع أكثر :  
« إنني هنا لأنني مدعو .. ( هو ) - الذي يمشى في  
الظلال - دعاني كي أشهد ( أرماجيدون ) الجديدة ! »

قلت بصوت مبجوح :

- « حقاً .. يجب أن يكون مثلك موجوداً في مكان كهذا .. إن ( خريولسن ) يعتبر هذه القرية مدينة ملاء ينتزه فيها .. »

ابتسم .. وقال وعيناه ثابتتان على وجهي :

- « إنني أنتمى إلى هنا أصلاً .. ( بوكوفينا ) هي بلد يتأرجح بين ( المجر ) و ( رومانيا ) .. لكنى أعتبر نفسي مواطناً مجرياً .. »

ثم تأمل وجهي ، ومدّ يده الباردة ليمسح الحجر الأبيض عن بشرتي ، وقال :

- « سخيف جداً ! تبدو كالأطفال حين كانوا يدهنون وجوههم بالدقيق ليفزعوا الفتيات ! »

ثم نظر إلى القوم ، وقال بضع كلمات بلهجة أمرة .. وندھشتي رأيته يتأبط ذراعى كأنما هو صديق قديم لى ، ويقتادنى إلى أحد المنازل المحيطة بالساحة ..

نظرت للوراء لأجد ( جوستاف ) ما زال واقفاً حيث هو ، وقد عاد فمه مفتوحاً كالبلهء .. ومن الواضح أنه سيزل لأبدي في هذا الموضوع .

- « لا تخش شيئاً .. إنه قوى كأسد .. إن هي

الإصدمّة عاطفية أورثتها إياه الأهوال التى رأها فى جانب النجوم .. »

قالها كأنما سمع أفكارى ، وخمن ما خطر لى .. وأمام باب البيت الذى قصدناه وقفنا .. أخرج مفتاحاً من جيبه وفتح القفل ثم وارب الباب ودعائى للدخول ..

ودخلت .. فلم يكن أمامى شيء آخر أفعله .. إننا تحت رحمتهم على كل حال ، ويمكنهم تمزيقنا متى أرادوا ..

★ ★ ★

كان البيت مظلماً عفاً كعادة بيوت هذا الجزء من ( هالماجيو ) .. لكنه لم يحاول إضاءة أى أنوار كهربية ..

تناول شمعة حمراء كبيرة وضعها على المنضدة ، ومدّ يده لى مفردة الكف فى رسالة فهمتها على الفور .. أشعلت قداحتى ولامست بلهبها الفتيل فاتبعث النور الخافت الخجول فى المكان ..

وقف يرمقتى بنظراته الثابتة المزعجة ، بينما جلست أنا منتظراً خطوته التالية .. قال وهو يخطو بتؤدة نحوى :

- « الحق أننى لم أتوقع أن أجدك ها هنا .. لكنى  
أذكرك تمامًا .. قليل هم من يرون الشمس فينكرون .. »

قلت وقد فقدت شغفى بالمقاومة :  
- « إن أشياء شيطانية تدور ها هنا .. الكل يعرف  
هذا .. لكنى - أصرحك - لم أتوقع أنك وراء كل  
هذا .. »

هز يديه بحركة براءة تمثيلية ، وقال بصوته  
الببرى الرنان :

- « لست وراء كل هذا .. ظننت أننى أوضحت لك  
أننى مدعو .. أنا مثلك تمامًا مع فارق واحد هو أنك  
وصاحبك غير مدعويين .. ولكن عليك أن تشكر ربك  
على وجودى ها هنا فى هذه اللحظة .. وإلا لمزقكما  
الشاحبون إربًا .. »

« هذه هى فائدة المعارف والصلات ! »

على الرغم منى ابتسمت .. وسألته قلًا :

- « ولماذا تبقى علينا ؟ ظننت أهدافك وهؤلاء

المخابيل واحدة .. »

- « هذا صحيح .. لكنى سابقى عليكما لتكونا

شاهدين على قدام ( هو ) .. »

« بعد هذا سيقدر هو ما يجب عمله بشأنكما .. يجب  
التصرف بحكمة ! لأن اختفاء صحفى مهم من (بوخارست)  
وأستاذ جامعة مصرى لن يمر دون ضوضاء .. وعلى  
هؤلاء القوم أن يدركوا هذا .. حتى ولو كانت أزاهير  
الغرور وحمية الحمق قد ملأت أرواحهم .. »

« نعم هم أقوىاء .. لكن كالنبت الذى نما وترعرع ..  
لكن انتزاعه أو حرقه ما زال ممكنًا .. القوة الحققة  
هى يوم يغدو هذا البيت دغلًا هائلًا متشابهًا .. »  
ابتسمت من جديد ..

ما زال الرجل يملك قاموسًا هائلًا من التعبيرات  
الشعرية .. وما زال حريصًا على الكلام بلغة المسرح  
لا لغة الواقع ..

سألته وأنا أتأمل لهب الشمعة :

- « من هو ( هو ) هذا ؟ »

- « إنه ( فلاد الوالاشى ) طبعًا ! »

★ ★ ★

واتسعت عيناي دهشة ، وللحظة أفلت قلبى ضربة ..  
صحيح أننا فى ( رومانيا ) بلد ( فلاد ) لكننى ظننته  
بعيدًا جدًّا فى الزمن والمكان ..

- « هل تعنى الكونت ؟ »

- « حتمًا ! »

- « الكونت ( دراكيولا ) ؟ »

- « سمع كما تشاء .. ( دراكيولا ) .. ( فلاد ) ..  
( نوسفيراتو ) .. كلها تدلّ على ذات الشخص ، أو لنقل  
ذات الشيء ؟ ! »

أخرجت مندبلاً ورحلت أنظف به المسحوق الأبيض  
على بشرتى ، وعدت أسأل مرشدى الرهيب :  
- « أنا لا أفهم .. لقد قُتل مصاص الدماء منذ قرون ..  
ولقد حضرت تجربة لمحاولة إحيائه لكنها - لأسباب  
يطول شرحها - لم تتم .. وكانت موميأوه موجودة ..  
كان ميتًا كما يكون الموت .. وأنا لا أظن أنك ستزعم  
قدرتك - لا سمح الله - على إحياء الموتى .. »  
- « أنت لا تفهم .. »

قالها وهو يداعب لهب الشمعة بكفه كما يفعل رجال  
( المافيا ) عند إعلان ولائهم .. وقال :

- « كعادتك تثب إلى الاستنتاجات التى تبرهن على  
أنك لا تعرف شيئًا على الإطلاق .. ( فلاد ) لم يمض  
قط ولم يعيش قط .. هل سمعت يا دكتور عن ( جانب  
النجوم ) ؟ »

- « بل فتحت بابه منذ نصف ساعة أو أكثر ..  
وهو سبب ما أصاب صديقى .. »

قال وعيناه مثبتتان على وجهى ( إن عينيه لم  
تطرفا لحظة منذ لقائنا وأقسم على هذا ) ..

- « إن ( جانب النجوم ) هو العالم الموازى الذى  
يعيش فيه مصاصو الدماء ، والمذعوبون ، والشياطين  
والعفاريت .. إنه الجحيم بعينه ، ومن العسير على  
بشرى أن يراه دون أن يجن .. »

« توجد عدّة فتحات فى ( جانب النجوم ) تصل  
ما بينه وبين عالمنا .. ( رومانيا ) وحدها تملك سبع  
فتحات منها ، أخطرها جميعًا فتحة كهف ( هالماجيو )  
الذى تشرفتما بزيارته ، والتى أغلقها الكونت  
( ستيفانو ) فى القرون الوسطى .. »

« ومنذ قرون يحاول سكان ( جانب النجوم ) المرور  
إلى عالمنا ، مجتازين الحواجز الطبيعية التى تحمى  
هذه الأرض ، وكان بعضهم ينجح من آن لآخر ، عندها  
يظهر مذعوب أو مصاص دماء هنا أو هناك .. »

« إن ( جانب النجوم ) يزخر بمصاصى الدماء  
المفزعين .. وأخصّ منهم بالذكر ( سيجفريد الأميدى )



(يوليان المغتصب) .. الحق أقول لك إن (فلاذ  
الوالاشى) هو أكثرهم وداعة ورقة .. لكنه يملك  
قدرة غير عادية على اختراق الفتحة المذكورة ، لذا  
صار هو أدنى مصاصى الدماء إلى عالمنا ..

« وفي تاريخ (رومانيا) كانت هناك فترات عدّة  
استطاع فيها (فلاذ) أن يعبر الثغرة ، ليعيش فى  
البلاد يعيش فساداً متخذاً شكلاً أقرب إلى الآدميين ،  
ولهذا فإن من يعرفه العالم باسم الكونت (دراكيولا)  
ليس سوى (فلاذ) متكرراً فى صورة آدمية ..  
صحيح إنه يمص الدماء ، ويقعل أكثر ما يفعله  
الـ (فامفيرى) ، إلا أن هذا ليس سوى عشر قدرته  
على الشر ..

« وفي النهاية كان الحمقى يقتلونه بوتد خشبى  
- إلى آخر هذا الهراء - حاسبين أنهم تخلصوا منه ..  
فى الواقع كانوا يقتلون الهيكل الآدمى الذى اختاره  
لنفسه ، من ثم يتركه ويعود إلى (جانب النجوم)  
ليعد لهجوم آخر بعد أجيال .. »  
قلت أنا فى سخرية :

- « معمرّون حقاً أولئك (الفامفيرى) .. »  
أجاب (لوسيفر) دون أى فهم لدعابتي :

- « صحيح .. إن متوسط عمر (الفامفيرى) الحق  
ثماتائة عام .. »

- « لنفرض جدلاً أن ذلك الأخ - ماذا كان اسمه ؟ -  
(سجريد) .. »

- « (سيجفريد الأמידى) (\*) .. »

- « لنفترض أنه استطاع عبور الفتحة ، فماذا  
يحدث ؟ »

ابتسم كاشفاً عن أسنانه البيضاء إلى حدّ مريب ،  
وغمغم :

- « إنها نهاية هذه الأرض إذن .. إن شره يفوق  
(فلاذ) مائة مرة ، وقوته تفوق (فلاذ) ألف مرة ..

لكن هذا لن يحدث فى الوقت الحالى على الأقل .. »  
ثم أردف وهو يتأمل لهب الشمعة المتراقص :

- « فى (جانب النجوم) يعيش (فلاذ الوالاشى)  
فى إقطاعية كبيرة ، ويسمونه هناك باسم (هو الذى  
يعيش فى الظلال) ، وهى تسمية تناسبه حقاً إذا  
ما أردت رأيى .. »

(\*) فيما بعد قابلت كل هؤلاء فى قصة (أسطورة جانب  
النجوم) ، وسأحكيها لكم يوماً ما ..

« ولكن ( فلاد ) كالسوائل .. والسوائل تحب أن  
تنتشر وتتمدد .. لذا ما زال يصبو إلى زيارة الأرض  
من جديد .. »

قلت له وأنا أنزع عويناتى لأنظفها من غبار الجير :  
- « دعنى أأخمن .. هذه المرة لن يأتى قبل أن يعد  
جيشاً كبيراً من الشاحبين .. صحيح أنهم ليسوا  
( فامفيرى ) حرقياً لكنهم يشربون الدم ويعيشون فى  
الظلال مثله .. »  
فى ثقة قال :

- « هأتذا تجيد الاستنتاج هذه المرة .. لقد وُلد  
الرعب فى ( هالماجيو ) ليبقى .. ومنه تخرج جيوش  
الظلام إلى العالم كله .. جيوش لا تدين سوى بدين  
واحد : الطاعة لـ ( هو ) الذى يعيش فى الظلال ..  
» لقد ظلّ الباب مغلقاً قرّونا .. لكن عنراء حمقاء  
دخلته كى تدمى رأسها داخل الكهف ..

« كان دمها هو المفتاح الذى فتح أقفالاً لم يمسهها  
أحد طيلة قرون كاملة .. وسرعان ما وجدت نفسها  
فى ( جانب النجوم ) تتناول أسرار الشاحبين ، حين  
عادت إلى الأرض كانت قد صارت الأولى .. عليها أن  
تضمّ آخرين وآخرين وآخرين .. »

ظل يردّد ( آخرين ) همساً حتى حسبته قد جنّ ..  
ثم أدركت أنه فقط منتش بالفكرة ..

سألته وقد بدأت القصة تتضح أكثر :

- « وماذا ينتظر ( فلاد ) إذن ؟! »

- « ينتظر أن يصير ( هالماجيو ) كلها من الشاحبين ..  
بعدها يغزو ( بوكوفينا ) ثم ( بوخارست ) ثم .... »  
- « وكيف يصير الشاحبون شاحبين ؟ »

- « لا بد من الإكسير أولاً .. »

ابتسمت فى إنهاك .. الحق أن أحداث ليلة واحدة  
فى ( هالماجيو ) كانت أكثر مما يحتمله من فى سنى  
وضعف بنيتى ..

لكنى تماسكت وسألته :

- « إكسير ؟ وهل اسمه ( فامفيرين ) أو ( دراكيولال )  
أو ( فلاد يمايسين ) مثلاً ؟ لا أعتقد أن شركات  
الأدوية ستتحمس له كثيراً فى مصر .. »

للمرة الثانية فهمت أن لفظة ( مزاح ) لا معنى لها  
عنده .. إذ قال :

- « الإكسير هو مزيج من دماء ( دراكيولا ) ونبات  
الـ ( وولف بين ) الذى تحيط به الأساطير فى هذا  
البلد .. »

- « هل تعنى أن دماء (دراكيو لا) موجودة  
ها هنا ؟ »

- « إنما جلبتها العذراء - التي فتحت الباب - معها  
من (جانب النجوم) .. ويسقونه للمرء قبل  
امتصاص دمه أو استنزافه ..

« لولا الإكسير ماظل أحدهم حيًا بعد تجربة كهذه ..  
فالإكسير يجرى في العروق مجرى الدماء .. ويترد  
الدم القديم الفاسد .. »

- « تريد القول إن الشخص يعيش بدماء (دراكيو لا)  
بعد هذا ، ولا يعود بحاجة إلى دمائه الأصلية .. إن  
هذا شبيهه بنقل الدم التبادلي الذي يجرؤنه للأطفال  
المصابين بالصفراء .. »

قال باللاتينية :

- « أنت تقول .. »

ثم استطرد في وصف قصة الشاحبين :

- « ومن هنا نبدأ يا د. (رفعت) .. إن المختار  
في أثناء سريان الدم الجديد في دمه يُلَقَن مبادئ  
الطاعة لـ ( هو ) ، وحين يفتح عينيه يكون قد غدا  
من الشاحبين في مجتمع (إفرنوس) التي كان  
اسمها (هالماجيو) .. »

سألته سؤالاً أخيراً وأنا أُمْنَع عيني من الانغلاق :  
- « وماذا ستفعلون بنا الآن ؟ »

كنت أريد منهم أن يشربوا دمي وينتهوا .. المهم أن  
يتركوني أمام .. المهم أن يرحموني من الصياح والحركات  
الهستيرية .. والمهم - بالذات - ألا يجعلوني أرشف  
ذلك الإكسير اللعين .. دعوني أمت في هدوء من  
فضلكم ولا تحرموني تلك الراحة الأخيرة ..  
قال د. (لوسيفر) :

- « الحق أنني بوجودك أسعد ، ولك قلبي يطرب ..  
عرفت من اللحظة الأولى - حول (التاروت) - أننا  
سنلتقى مرارًا .. وفي كل مرة تتعلم الدرس الدائم :  
الشر لا يهزم .. يجب أن تتعلم النظرة (المانوية)  
لكون ككل حيث الشر ضروري وقادر .. »

بحثت عن لفظة إنجليزية لها رنين لفظية (دماغك !)  
التي نستخدمها في مصر لتسفيه الآراء السخيفة ، فلم  
أجد ..

لكنه - كما لي أن أتوقع - قال في حزم :

- « لا تجهد نفسك .. لقد سمعت اللفظة العربية  
تتردد في ذهنك .. »

وفهمت معناها .. لكنى - لك أنصح - أتعشم أن تتعلم  
شيئاً من المصير الرهيب الذى ينتظرك وزميلك .. «  
ودون كلمة أخرى غادر المكان ..  
ومكثت وحدى فى الظلام أرمق الشمعة المحتضرة ..

★ ★ ★

## حكاية الشاب الرابع

يحكيها هو نفسه

قال ( بيلاسكو ) :

هو - الذي يمشى فى الظلال - أمرنا أن نتركهما  
حين ..

★ ★ ★

لقد كنت واقفاً بانتظار خروج الغريبين - الصحفى  
البيدين من ( بوخارست ) والرجل الذى يشبه دودة  
( الإسكارس ) - من الكهف ..

كنا نرى المدخل المظلم على ضوء النيران التى  
أشعلناها فى الساحة ، ولا بد أننا لبثنا ساعتين أو  
أكثر ننتظر ..

- « حررونى .. حررونى ! »

كذا صاح ( أنطونسكو ) ابن القصاب ، وكان قد  
صار منا تماماً بعدما جرع الإكسير .. لذا هوى  
( بوريس ) بمديته على الحبل ليقطعه ، وهوى آخر  
الشاحبين بدوره إلى الأرض ، وراح يحبو على أربع  
محاولاً الاقتراب منا ..

نظرت للوراء فوجدت ذلك الزائر الغامض الذى

يقولون إنه جاء من ( المجر ) ليكون بيننا .. يبدو أن  
اسمه د. ( فرانتز لوسيفر ) .. وهو اسم يناسبه تماماً ..  
إن ( لوسيفر ) تعنى الشيطان .. وهو أنسب نعت لهذا  
الرجل الغامض المسربل بالسواد فى كل شىء :  
عينيه .. شعره .. بذلته .. وحتى صوته .. صوته  
كان أسود ولا أدرى كيف ..

كنت أهابه بشدة ، لكن الجميع قال لنا إن هذا شرف  
لا بد أن نسعد به .. ولذا تظاهرت بالسعادة ..

وحين خرج لنا الرجلان من الكهف لم أصدق أنهما  
بهذه البلاهة ، لقد دهننا وجهيهما بالطبشور متظاهرين  
بأنهما منا .. كدنا نفتك بهما لكن ( لوسيفر ) أمرنا  
ألا نفعل .. وقال بلهجة لا يمكن مناقشتها :

- « إن ( هو ) - الذى يمشى فى الظلال - لراغب

فى رؤيتهما .. »

ثم اقتاد دودة ( الاسكارس ) إلى دارى ، وفتح  
بابها لا أعلم كيف .. ومكث معه بالداخل ساعة أو  
أكثر ..

ثم خرج من الدار بقامته المديدة ، ووقف أمام  
( الروح الكبرى ) ليقول لها فى غطرسة :

- « هذان لن يموتا الآن .. بل موتا يموتان حين يعود ( هو ) .. »

قالت له ( الروح الكبرى ) وهى تحنى قامتها المنهكة :

- « لكن أين تضعهما ؟ سيفران حتماً ما لم يصيرا منأ .. »

أشار إلى دارى ، وتساءل :

- « دار من هذه ؟ »

- « دار ( الدم ) وامراته ( حدأة الصحراء ) .. »

- « إذن هما سجينان فيها حتى يأتى ( هو ) .. »

ونظر لى - كيف عرف أننى ( الدم ) ؟ - وقال :

- « أنت لهما الحارس والعين والمضيف .. لو هربا

أو أوديا فلك مع ( هو ) - الذى يمشى فى الظلال -

حساب أى حساب .. »

هزرت رأسى مذعوراً :

- « كما تقول يا سيدى .. »

هنا كان الفجر قد دنا .. ساعتان تفصلتنا عنه ،

ورائحته النقية تمزق رثائنا بألف خنجر .. لذا صاحت

( الأخت الكبرى ) امرأة :

- « عودوا إلى دياركم يا أبناء ( إنفرنوس ) .. ناموا فى مملكة ( خريولسن ) حتى تموت شمس يوم جديد .. »

جررت الصحفى البدين من كفه ، فاستجاب لى فى رخاوة .. لقد ذهب عقله شعاعاً من هول ما رأى فى الكهف .. هذا واضح تماماً ..

دخلت دارى ومعى ستة من إخواننا ..

وكان الأضلع النحيل جالساً على المنضدة فى مدخل

الدار ، وأمامه شمعة ذابلة لم يبق فيها سوى لهب

يتراقص فى بركة من الشمع الساخن .. فما إن رأنا

- وكان شارد الذهن - حتى رفع وجهه المرهق نحونا ،

وقال فى هدوء المستسلم :

- « هذه إذن لجنة الاستقبال .. هل ستصفون دماغنا

الآن ؟ إننى لن أشرب إكسيركم أبداً .. سيكون عليكم

قتلى من دونه .. »

وضحك ضحكة ساخرة جعلته يسعل ..

بالطبع لم يفهم أحد الواقفين حرفاً لأن الرجل تكلم

بالإنجليزية ، لكننى فهمت لأننى مدرس .. وأقرأ

بالإنجليزية أكثر مما أقرأ بلغتى الرومانية ..

لذا قلت له بلغة رديئة نطقاً ، صحيحة تركيباً :

- « سيدى .. لن يكون هناك شيء من هذا .. إن  
هذه دارى أنا ( الدم ) .. وأنت ضيفى .. »  
كما توقعت سألتنى فى بلاهة :  
- « اسمك ( الدم ) ؟! »  
رددت بما وسعنى من تهذيب :  
- « بعد تحوكى .. نعم .. هذا هو اسمى .. أما  
اسمى القديم الآثم فهو ( بيلاسكو ) .. »  
- « ( بيلاسكو ) .. » - ونظر للسقف كأنما يتذوق  
الاسم - « اسم مرعب بدوره .. ربما هو أكثر إرغاباً  
من اسم ( الدم ) .. »  
انحنيت .. وقلت له التحية الرومانية التقليدية :  
- « أهلاً بك فى دارى .. إليها تدخل حراً ومنها  
ترحل سالمًا .. فقط بعد رحيلك اترك لنا بعضًا من  
السرور الذى جلبته معك .. »  
ابتسم وهو ما زال جالسًا وقال :  
- « ثق أتنى سأترك أشياء كثيرة بعد رحيلى ..  
يقع دم وما إلى ذلك .. الآن هل ستربطنى بالحبال إلى  
المقعد ؟ »

- « سيدى .. إنك تخمن أفكارى قبل أن تخطر  
لى ! »

★ ★ ★

ربطناه والصحفى المعتوه إلى مقعدين ، ثم حملنا  
كل مقعد إلى القيو ..  
طبعًا لم أكن راغبًا فى كل هذا .. لكنى لن أكون  
المستول عن هروب هذين حينما يأتى ( هو ) ..  
وجاءت ( حدأة الصحراء ) امرأتى الجديدة ، تدفع  
بطنها المنتفخ أمامها ، وتسالنى وهى ترمقهما مقيدتين :  
- « هل سنطعمهما ؟ »  
- « بالطبع .. فهما غير مؤهلين لشرب الدماء بعد .. »  
- « وأى شيء نطعمهما ؟ ليس لدينا سوى  
الفنران .. »  
فكرت قليلًا .. ثم تذكرت أن لدينا بعض اللحم  
المجفف فى الكرار ، لم نأكله منذ بدأ التحول ، لذا  
طلبت منها أن تقدم بعضه لهما حتى لا يموتا جوعًا :  
- « إن موتهما يتساوى عند ( هو ) مع فرارهما ..  
كلا الحالتين فرار من قبضته ، ولا أحب أن أنتظر  
لمعرفة مصيرنا وقتها .. »

كانت تكن وتمسك ظهرها ..  
 شعرت بشيء كالشفقة يتحرك في صدري ، لكننى  
 قمت بوأد هذا الشعور فوراً .. لقد تمّ تطهيرى من الوهن  
 البشرى منذ زمن سحيق ، وصارت أشياء مثل الحب  
 والعطف والرقّة نوعاً من الإهانة لفكرة وجودنا ذاتها ..  
 كان النهار يدنو .. لذا دخلنا إلى غرفتنا التى  
 أسدلنا ستائرنا ، ولم تدخلها نسمة هواء منذ دهر ..  
 دخلنا إلى الفراش ، وغبنا فى نوم عميق ..

★ ★ ★

وحلمت .. حلمت بـ ( هو ) - الذى يمشى فى  
 الظلال - قائماً فى الغبشة .. ورأيت ( حدأة الصحراء )  
 تهرع كالمهوفة كى تسقط على قدميه هاتفة :  
 - « سيدي وسيد سيدي ! لقد أعدنا الأرض  
 لقدمك .. »

عندها رأيته يفعل الشيء الذى توقعته ، ولم أجد  
 فى حلقى صوتاً كى أنذرها منه .. رأيته يمد يداً  
 مخلبية ليعتصر رقبتها .. قال شيء فى قلبى :  
 « هى امرأتك وواجبك إتقاذها » .. قال شيء فى  
 عقلى : « لا .. إنما هى جاريتة يفعل بها ما يشاء .. »



ربطناه والصحفى المتوه إلى مقعدين ، ثم حملنا كل مقعد  
 إلى القبو ..



لكن ( حدأة الصحراء ) تصرخ .. تئن تتوسل إلى  
أن .....  
آه آه .. آه ه !

★ ★ ★

وصحوت على الأبين ، فنهضت فى الظلام أرى  
ما هناك .. كانت تتشبث بالفراش وتعتصر الملاءت  
فى عنف ..

« ( بيلاسكو ) .. يبدو أنه .. آى ! قادم ! »  
انتظرت لحظة حتى عرفت الخط الفاصل ما بين  
نومى ويقظتى .. ثم هتفت مذعوراً وأنا أترجع للوراء :  
« مستحيل يا ( إلبصابت ) .. إن حملك لم يتجاوز  
ستة أشهر بعد .. »

ضغظت على أسناتها ، وقالت :  
« إنه أول طفل شاحب .. آى ! أى أنه ليس  
كالبشر .. آى ! هلم استدع ( الروح الكبرى )  
حالاآآن .. آى ! »  
« لا ! »

قلتها فى جنون ..  
لقد ماتت ( إيزبيا ) على يدى ( الروح الكبرى ) ،

ومات وليدها .. فكل ما كانت العجوز تعرفه عن  
التوليد هو أن تجذب الوليد بأقصى قوتها ، وباستخدام  
مخالبها السوداء ...

كلا .. لن أسمح لها برؤية ( إلبصابت ) ..  
وهنا فظنت للمرة الأولى أنسى استعملت اسمها  
القديم .. وهى كذلك استعملت اسمى القديم ( بيلاسكو ) ..  
غريب هذا !

لكنها تصرخ .. وصراخها كفيل بإيقاظ الموتى ..  
لقد نسيت تماماً هذه اللحظات .. ليلة ميلاد ( كوئار )  
منذ ستة عشر عاماً .. كانت أمه تئن وكنت أنا أصرخ  
كالمجنون ، وجاء د. ( ميخائيل ) يلهث من داره  
ليساعدنا على الولادة ..

ولكن .. من يساعدها الآن ؟ لا أحد من الشاحبين ،  
وصراخها يقول لى إن الأمر لن يكون سهلاً .. لن يتم  
تلقائياً كما تمنيت ...

دودة ( الاسكارس ) فى القبو ؟ سمعت د. ( لوسيفر )  
يناديه بلقب ( دكتور ) .. فهل هو طبيب أم .... ؟  
هل أطلب عونه ؟ كيف أتق به ؟ الحق أنه - برغم  
قبحه - يبدو موحياً بالثقة .. له عينان صافيتان

منهكتان ترمقان الكون فى أسى .. هل يسامحنى  
( هو ) ؟ فليذهب ( هو ) إلى الجحيم إن لم يكن فيه ..  
إن أم طفلى فى مأزق ..

★ ★ ★

كان ضوء النهار يتسلل إلى القبو .. آلمنى جداً  
لكنى تحاملت ودخلت .. ولشدة دهشتى كان الطبيب  
النحيل مستيقظاً .. قال لى بعينين حمراوين من فرط  
الإرهاق ، وهو مقيد إلى مقعده :

- « إن هذه الصرخات غير غريبة على سمعى ..  
إما أنها طريقة تعذيب جديدة خاصة بكم ، وإما أن  
هناك امرأة فى ولادة متعصرة .. »

قلت له وقد سررنى أنه استنتج بسرعة :

- « امرأتى تلد ويبدو أن الأمور ليست على  
ما يرام .. هل يمكنك مساعدتى ؟ »

ابتسم .. وسألنى أن أصلح وضع عويناته على  
أنفه ، ثم قال :

- « كنت أتمنى أن أتشفى فيك وأقول : دع ( هو )  
يساعدها .. إلا أننى عاجز عن رفض علاج مصاصى

الدماء أنفسهم .. لكنى أتترك .. أنا لم أر ولادة منذ  
عام ١٩٤٩ .. فأنا - لسوء حظك - طبيب باطنى .. »  
- « هل يعنى هذا أنك ستؤذيها ؟ »

ضحك برغم إرهاقه ، وقال :

- « ما زلت أذكر الخطوط الأساسية .. ولن أحاول  
إخراج الطفل من إصبع قدمها ، لو كان هذا يؤثر  
قلبك .. »

لم يكن أمامى بُد .. لذا فككت قيوده .. وأمرته أن  
يتبعنى إلى غرفة النوم .. إنها لمقامرة لكن ما باليد  
حيلة ..

★ ★ ★

ما إن دخل الحجرة حتى صار هو الأمر الناهى ..  
- « افتح هذه الستائر اللعينة .. أريد بعض  
الضوء .. »

فعلت على مضض .. إن هذا سيؤلمها أكثر ، لكن  
هذا البشرى لا يملك الرؤية فى الظلام مثلنا ..  
فلنتحمل ..

- « هل لديك قفاز ؟ لا ؟ حسن سأجد حلاً .. »

أريد سكيناً ورباطى حذاء أو قطعتين من حبس  
سميك .. »

ونزع سترته وربطة عنقه ، ورفع كمي قميصه ..  
سألته في توتر :

- « هل أقوم بغلى بعض الماء ؟ »

- « لماذا ؟ »

- « كلهم يفعلون هذا .. »

- « دعك من هذا الهراء .. ستحرق نفسك أو تحرقها .. »

لقد دخلت كلية الطب في بلاى كى أعرف لماذا يغلى  
الناس الماء وقت الولادة .. لكنى - بعد عشرين عاماً  
أو أكثر - لم أعرف السبب بعد .. »

وبدأ العمل وسط صراخ ( أليصاباط ) .. وشتايمها  
الرومانية للطبيب ..

★ ★ ★

كانت عملية قاسية مرهقة .. ولا بد أننى كنت  
أبكى بصوت مسموع بينما راح هو - ببظء شديد -  
يحاول تبديل وضع الجنين ..

استغرق الأمر نحو ساعة .. وهنا سمعت صوتاً

جديداً يضاف لعواء المرأة .. كان هذا عواء رضيع ..  
ابنى !

- « حمداً لله ! »

قاتها بصوت عال ، وقالتها زوجتى بالرومانية  
معى .. فنظر لى ( رفعت ) - كان هذا هو اسمه -  
فى دهشة .. كان الدم يفرق وجهه وقميصه وعويناته ،  
على حين راحت قطرات العرق تغسل هذا الدم ..  
قلت فى إصرار :

- « نعم .. حمداً لله ! »

غمغم وهو يهز رأسه :

- « حسبكما لا تستطيعان لفظ هذه العبارة .. »

ثم رفع ذراعه اليمنى حاملاً قطعة اللحم المتسخة  
بدماء سوداء :

- « هو ذا ابنك .. شاحب ابن شاحب .. لك أن

تفخر به .. لقد كدنا نفقده .. ويبدو أننى طبيب بارع  
حقاً .. لم أعرف هذا من قبل .. »

ورأيته يربط الحبل السرى على مسافتين متساويتين  
برباطى الحذاء ، ثم يقطع ما بينهما بالسكين ..

مرت دقائق ثم بدأ يستعيد قواه .. لقد كان قلبه  
معتلاً بشدة كما هو واضح .. وكانت الليلة الرهيبة  
التي بدأها بمصاصي الدماء وأنهاها بالتوليد أقوى من  
قدرته على التحمل .. ( دودة اسكارس ) مريضة  
تستجمع أنفاسها ..  
وللمرة الثانية تحرك في صدري شعور الشفقة ..

★ ★ ★

كانت الأم قد نامت حين رفع الوليد من على بطنها  
وناوله لى ثم راح يستكمل ما بدأه ..  
تأملت الصغير الصارخ ، وأدركت أنه فى شحوب  
هذه الورقة .. له ملامح غريبة حقاً .. ملوث بدم  
أسود لا أحمر ..

ارتجفت هلعاً .. هذا - على قدر علمى - أول طفل  
يولد ليمصّ الدماء من اللحظة الأولى .. ماذا سترضعه  
أمه ؟ أدماء ؟ أم هو لا يرضع أساساً ، ولسوف  
يشاركنا حفلاتنا الصاخبة عما قريب ؟ يا للبخاعة !

كان ( رفعت ) قد فرغ من عمله ..

قال لى وهو يرتجف إرهاباً :

- « هل .. هل لديك ماء ؟ »

ثم كاد يتهاوى على الأرض ، فهرعت أريجه إلى  
الجدار .. قال لاهئاً :

- « جيب البذلة .. الأقراص .. قرص تحت

لساتى .. »

فعلت كما طلب وأخرجت قرصاً من العلبة التي كتبت  
عليها ( نترات قصيرة المفعول ) ، ودمسته تحت  
لسانه كما أوصاتى ..

- « إذن أنت لم تترك لي خياراً .. »

- « أظن هذا .. »

وفى طاعة جلس على مقعده ، على حين رحلت  
أحكم ربطه بالحبال .. ثم تركته لألحق بزوجتي وابني  
في الغرفة المظلمة .. لقد بدأ النور يزعزع تركيزي  
إلى حد ما .. وأشعر بملايين الإبر تنغرس في  
جلدي ..

ويبدو أنني نمت قبل أن أندس تحت الغطاء ..

★ ★ ★

كان الغروب داتياً حين صاحوت من النوم ، وجدت  
( حدأة .. ) تلقم الرضيع ثديها وقد جلست في  
الفرش .. سألتها ملهوفاً :

- « أترضينه لبناً حقاً ؟ »

- « لا أرى .. يبدو مثله .. لكن لا تنس أننا لم

نعد بشراً ! »

تأملت المشهد بضع دقائق ، ثم تذكرت أسيرينا  
في القبو .. فهرعت إليهما حاملاً قطعة من اللحم  
المجفف ..

غسلت وجهه ويديه بالماء ، ثم عاونته على  
انتزاع قميصه الدامي ، وجلبت له قميصاً نظيفاً من  
حاجباتي .. فمئذ أن تم التحول وقمصاتي لم تمس  
لأنتى لم أستبدل ثيابي قط ..  
للمرة الأولى منذ أشهر لفظت الكلمة :

- « شكراً .. »

قال وهو يرتجف برداً وإرهاقاً وربما جوعاً :

- « أشكرك أنا أيضاً على إنقاذ حياتي .. »

واقفدته إلى القبو حيث كان صاحبه غافياً على  
مقعده ..

- « د . ( رفعت ) ؟ »

- « هم م م ؟ »

- « سأثق بكلمتك .. هل تعدني بشرتك ألا تحاول

الهرب لو لم أقيدك ؟ »

نظر لي وابتسم .. وغمغم :

- « أعدك بشرفي لمدة ثماني ساعات أنام فيها ..

لكنني سأحاول الهرب بعدها .. ثق بهذا .. »

كان الظلام دامساً هناك لكنى كنت قادراً على  
الرؤية بالطبع ، وبحثت عن شمعة أشعلها ..  
كان الطبيب أفضل حالاً بعد النوم ، لكن القيد قد ألمه  
طبعاً ، وجعل عضلاته تتصلب .. أما الآخر فمن  
الجلئ أنه تحول إلى نبات .. نبات لا يمك أفكاراً  
خاصة سوى أحلام غامضة ..

فككت قيد الرجلين وقدمت لهما الطعام ، ولم يكن  
الصحفى قد أبدى ما يدل على أنه يعرف معنى الأكل ،  
لذا نسست بعض الشرائح فى فمه دساً .. وبعد ثوان  
بدأ يلوكها بالغريزة ..

أخيراً سألتنى ( رفعت ) وفمه ملىء بالزاد :

- « هل الرضيع بخير ؟ »

- « بخير .. »

- « أهو طبيعى ؟ أعنى ..... »

- « حتى هذه اللحظة يبدو كذلك .. ما عدا ملامحه

الغريبة وشحويه .. »

بعد ثوان قلت له وأنا أنظر للشمعة :

- « د. ( رفعت ) .. أنا راغب فى معاونتكما على

الهرب .. فأنتما لا تستحقان الهلاك .. »

- « وأنت لا تستحق ما سيحل بك بعدها .. »

- « د. ( رفعت ) .. ألم تفهم بعد ؟ »

ورفعت الشمعة لتضىء وجهى المتسلخ .. وأردفت :

- « نحن لم نعد بشراً يستحقون ولا يستحقون ..

نحن مسوخ يجب تدميرها ..

لقد عرفت هذا حين رأيت الرضيع أمس .. لا أعرف

كنه ( هو ) هذا .. لكن قبضته على روحى قد بدأت

تترأخى .. وإبنى لألعنه .. »

★ ★ ★

وفى الساعة التالية حكيت للطبيب القصة من

بدايتها .. الوباء الذى عادت به ( ناديا ) من الكهف

لتنشره بيننا .. كل شىء .. إلى لحظة دخولهما دارى ..

سألتنى وقد صار يعرف ما أعرفه ..

- « أنت كنت مدرساً مثقفاً إذن ؟ »

- « بالتأكيد .. وتمدنياً كذلك »

« لهذا كان تأثير دماء ( دراكيولا ) عليك ضعيفاً ..

كما أن التنويم المغناطيسى لا يؤثر فى أقوىاء

الشخصية .. إن روحك لم تفسد بعد .. »

ثم سألتني وهو ينظر في عيني :

- « أين يوجد دمه الخطر هذا ؟ »

- « من المصادفة أنهم تركوه عندي .. لأنني أعرف

كيف تحفظ هذه الأشياء .. »

- « هل لي أن أراه ؟ »

مددت يدي إلى جيب داخلي في سترتي الصوفية ،

وأخرجت الأنبوب الصغير .. الأنبوب الذي عادت به

(ناديا هالماسكيا) - أخت الثأب كما نسميها الآن -

من (جانب النجوم) ، وعرضته على الطبيب الناحل ..

قال وهو يتأمله بين أنامله :

- « هذا مخيب للأمل .. كنت أحسبك ستجلب قارورة

فاخرة الشكل مفعمة بالدماء ، فإذا بأنبوب اختبار مليء

بمسحوق .. بمادة كالفلقل الأسود .. »

- « هو كذلك .. يبدو أنهم يجففونه هناك .. نحن

نخلط مقدار جرام واحد بمقدار أربعة جرامات من

الـ (ولف بين) .. و ... »

قاطعني مبتسماً في خبث :

- « كخطوة أولى .. هل لديك فلقل أسود ها هنا ؟ »



ورفعت الشمعة لتضيء وجهي المتسلخ .. وأردفت :

- «نحن لم نعد بشراً يستحقون ولا يستحقون» ..

« أظن هذا .. لكن هل تتوى !؟ »

« إن الإغراء أقوى منى .. على الأقل سيعجز هؤلاء القوم عن ضمّ آخرين مهما شربوا من دماء .. إن أفضل خدمة تقدمها لإنسان هي أن تسمح له بالموت دون أن يشرب هذا الإكسير اللعين .. »  
ارتجفت يدي .. وفكرت لحظة في منعه .. فقال :  
« ( بيلاسكو ) .. أتت عدوى أم صديقي ؟ هل تريد إتهام الكابوس أم إحياءه ؟ لا يوجد حلّ وسط .. ولا وجود للون الرمادي .. »

ثم ناولني الأنبوب ، وهو ينظر في عيني بثبات :  
« يمكن الخلاص منه في المرحاض لو كان عندكم واحد .. »  
« سأفعل .. »

« ثم املاً الأنبوب بالفلفل الأسود .. لن يلاحظ أحدهم الأمر إلا فيما بعد .. »  
« حسن .. »

وحملت الأنبوب في الظلام ، شاعراً بأنه يرتجف في يدي .. فلو كان ما أحمله ثعبان جرس لكنت مطمئناً أكثر ..

وفي الحمام فتحت سدادة الأنبوبة وأخذت شهيقاً عميقاً .. ثم أفرغت المسحوق الأسود في المرحاض ، دقائق كاملة وقفت فيها أرمقه وهو ينتشر على سطح الماء .. وأدركت - في رهبة - أن الماء يصطبغ باللون الأحمر القاتى ..

ضغظت على زر الطرد كي لا أرى أكثر .. وهدر الماء ..  
هدر حاملاً دماء ( دراكيولا ) إلى ما تحت الأرض ...

★ ★ ★

عدت إلى ( رفعت ) في القبو ، ورفعت الأنبوب المليء بالفلفل الأسود بين سباتي والإبهام .. وقلت بصوت متحشرج :

« قد تمّ كل شيء .. »

« أحسنت .. »

ثم نظر إلى ساعته ، وقال :

« أرى أن تقيدنا وتخرج لهم كي لا يشك أحد في شيء .. هذا ميعاد خروجكم للاحتفال .. »



فعلت كما طلب ، ثم غادرت الدار مبيليل الأفكار ..  
كان على أن أخبرهم بميلاد ابني ، وأن أتركه لهم  
كي يجعلوه منهم بصورة نهائية ..  
كنت - كما قلت - مبيليل الفكر ، ولهذا لم أنظر  
تحت قدمي ..  
وبالتأكيد فانتني أن أرى ما يحدث في البئر الذي  
تصب فيه ماسورة مجارى بيتي ..

★ ★ ★

- ٣ -  
وقفتُ قرب النار المضطربة التي أشعلوها هذه  
الليلة في عربة قديمة ، كانت الخيول تنقل التبن بها ،  
وكانوا جميعاً هناك ينتظرون بدء الحفل لهذه الليلة ..  
والضحية فتاة من القرية جاء بها ( بوريس ) إلينا ..  
من الواضح أنها كانت معجبة به ، والإعجاب جعلها  
تصدقه ..

الآن تقف ذاهلة لا تجد الكلمات ، وهي ترى كل  
هذا الصخب وكل هذه المسوخ .. وتشعر بأن شيئاً ما  
كريباً يُراد بها لكنها لا تعرف ما هو ..  
لم تكن قادرة على الفرار .. فقد ربط ( بوريس )  
حبلًا إلى عنقها ، وربط طرفه الآخر إلى عمود الإنارة  
الذي انتزعنا مصباحه من زمن ..  
لكنهم لم يبدعوا الاستنزاف بعد ...

قال لي ( الكابوس ) وهو يرفع قارورة الإكسير :  
« هات بعضاً من المسحوق يا ( دم ) .. »  
نظرت له ، وابتلعت ريقى .. كان يجب أن أكون  
طبيعياً .. ومددت يدي في جيب سترتي وأخرجت

الأنيوب ، وبطرفي إصبعي تناولت ما قدرت أنه جرام  
من المادة ونقلته إلى القارورة ، ثم رحت أرج الخليط  
بضع مرات ..

قربوا فوهة القارورة من ثغر الفتاة ، فتراجعت  
مجفلة . وصاحت :

« أنتم لن تؤذوني ! فقط قولوا هذا ! »

لكن أحداً لم يكن يملك نية للكذب ..

ودون جهد كثير لامست الفوهة شفيتها ، فجرعت  
جرعتين وهي ترتجف هلعاً .. سعلت مرتين ثم هدأت ..  
ورأيت ( بوريس ) يربط قدميها بالحبل توطئة  
لرفعها .. فصحت محاولاً تعطيلهم بعض الوقت :

« يا إخوان .. قد أنجبت ( حداة الصحراء ) طفلاً

نكراً أمس ! »

تعالى صياحهم ، وسمعت أكثر من واحد يقول  
أشياء على غرار ( كيف لم تخبرنا ؟ ) ( إنه لخير  
مبارك ! ) .. إلخ ..

هنا صاحت ( الروح الكبرى ) بصوتها الغرابي ..

« هو أول طفل شاحب يأتي للأرض ! طفل

ل ( هو ) ( الذي يمشي في الظلال ) منذ أول لحظة في

حياته .. ولكن لم تتادني وقت الولادة ؟ »

كي لا تقتلي زوجتي أيتها الساحرة الشمطاء !  
تمنيت أن أقولها لكني لم أفعل .. وقلت في حياء :

- « تم الأمر بسرعة لم أصدقها .. »

- « إذن هات الوليد كي نبدأ طقوسنا ! »

ارتجفت لتصور ما سيحدث .. نحن لم نر مشهداً  
مماثلاً لكن يمكن تصوره دون جهد .. لا بد أن كتاب  
( إنفرنوس ) الذي تحمله المرأة تحت إبطها يحوى  
العجب العجيب ..

ترددت برهة ، وغمغمت شيئاً لا أعرف أنا نفسي  
ما هو ..

قالت لي مستحثة :

- « هلم يا ( دم ) .. هات الطفل .. هات

( الشاحب ) .. هنا هو اسمه .. »

غلى الدم في عروقي - لو كان فيها دم بعد - على  
الوضع المزرى الذي صار معه الأب عاجزاً عن  
تسميته ابنه .. بل ولا يجروء على منع من يرغبون  
في إيذانه من عمل ذلك ..

هنا سمعت صوتاً ببرياً قوى النبرة يقول :

- « أعتقد - وهو اعتقاد له ما يبرره - أن الأخ

غير سعيد وغير راض .. وأنه ليصطنع اللطف  
اصطناعاً !

نظرنا لنرى من هو ..

كان د. (لوسيفر) واقفاً .. كتلة من اللون الأسود  
الشرير .. لا تعرف أبداً متى جاء هذا الرجل ومن  
أين ؟ لكنه يظهر فجأة وراء ظهرك ..

لقد كان هناك ، وكأنت عيناه السوداء وان الثابتتان  
الخاليتان من التعبير تتفحصاننى فى اهتمام ..

إنه يعرف ! بحق السماء .. هذا الرجل يعرف كل  
شئ ..

قلت محاولاً أن أبدو طبيعياً :

- « لا شئ يدعونى إلى أن أكون غير سعيد  
يا سيدى ، وقد صرت أباً للمرة الثانية منذ ساعات .. »  
عاد يسألنى بنفس الثبرات الثابتة :

- « وكيف حال ضيقك ؟ »

- « بخير حال .. وهما مقيدان كشاتين قبل  
الذبح .. »

- « إذن هلم ! هات الطفل .. وبرؤيته تنعم  
عيوننا .. »

فارقتهم عائداً إلى دارى وأنا أشعر بنظرات الشك  
فى عيونهم تكاد أن تخرق ظهري .. لقد صارت أيامى  
هنا قصيرة حقاً ..

وإذ مدت يدي إلى مقبض الباب ، سمعت صرخة  
الفتاة الشنيعة ، فعرفت أنهم بدءوا حفلهم .. وأنها تواجه  
الآن ما لاقاه (أنطونسكو) ابن القصاب أمس ..

الشنيع هنا أن (أنطونسكو) كان من الواقفين  
حولها الآن ، وهى تتدلى كالوطواط من قدميها  
المربوطتين إلى الشجرة !

★ ★ ★

نزلت إلى القبو ..

كان (رفعت) يتأمل صديقه فى قلق .. وبرغم  
الظلام كان بعض الضوء يأتى من الخارج ، حيث راح  
الذهب يضطرم ، أدركت أن الصحفي البيدين لم يتحسن  
قط .. ما زال يرمى الفراغ مذهولاً وقد تدلت شفته  
السفلى ، وسال منها خيط لعاب إلى صدره ...

فما إن رأتى (رفعت) حتى سألتنى :

- « لم عدت ؟ »

قلت وأنا أفك قيوده بمكينى :

- « إن ذلك الغامض المدعو ( لوسيفر ) يرتاب في أمرى .. »

عض شفته السفلى في أسى ، وقال :

- « لم يخطر هذا ببالي .. إن الرجل يقرأ الأفكار فحائر منه .. »

- « لم يعد ثمة وقت كاف للحذر .. عليك أن تفر من هنا .. »

- « لن يكون دون صاحبي .. »

ساعدته على النهوض وهو يثب كاللقلق من تصلب عضلاته ، وأعنته حتى دنا من النافذة الخاصة بالقبو ، وهي نافذة يقع نصفها السفلى تحت الأرض ، أما نصفها العلوى ففي مستوى الشارع ..

وعلى ضوء اللمب أشرت إلى دار على بعد مائة متر ..

- « هل ترى هذه الدار ذات الباب الأحمر ؟ »  
هز رأسه أن نعم ، وهو ينتظر ما سأقول ..

- هذه دار ( الروح الكبرى ) .. »

- « أعرف هذا .. لقد قرعنا بابها مرة .. »

- « إن للقبو فيها نافذة تشبه هذه .. كل ما عليك

هو تهشيم الزجاج بحذر .. فالهبوط إلى القبو .. »

- « شيء جميل .. لكنى لا أعرف ما الممتع في هذا ؟ »

- « هناك في القبو ستة صناديق .. وهى مملأ بالديناميت كلها .. »

عاد يواصل أسئلته الغبية .. ( أنا أمقت كثرة أسئلة هذا الرجل ) :

- « ولماذا تحفظ عجوز شمطاء مثلها بالديناميت ؟ إنه لا يصلح لصنع الحساء على قدر علمى .. »

صحت فيه غاضباً ، وقد نفذ صبرى :

- لا وقت للمزاح ؟ كان هذا ( الديناميت ) لدى فريق من عمال المناجم مروا بالقرية منذ شهرين ، وقد

قلناهم جميعاً .. لكننا نقلنا الصناديق إلى دار ( الروح الكبرى ) لأننا افترضنا أن ( هو ) سيرغب في اقتنائها

حين يجيء .. والآن سأشرح لك : ستقوم أنت بالتسلل إلى القبو ، وتملأ جيوبك بأصابع الديناميت .. ثم

تهرع إلى الكهف ، وتبدأ فى غرسها عند المدخل .. ومن ثم تفجر باب الجحيم هذا .. ستعيد إغلاق فتحة

( جانب النجوم ) وتفر إلى الجانب الآخر من القرية ..

وحين تعود لا تعد وحدك .. »

قال وهو يشعر بخطر الموقف :

« ومن الأحق الذي سيركني أفل كل هذا ؟ »  
 - « سأشغلهم عنك .. وثق أن كثيراً من الضجيج سيحدث مما يمنحك نصف ساعة تعمل فيها بأمان .. »  
 - « وكيف أفجر الديناميت ؟ بقداحتي ؟ »  
 - « يوجد جهاز تفجير .. ومجموعة من الأسلاك .. لا أدرى ما إذا كنت تجيد عمل هذا لكنى أتصحك أن تجيده .. »  
 سألتني كطفل ينوي القيام بعمل مبهز للمرة الأولى في حياته :  
 - « جهاز تفجير من الذي نراه في السينما ؟ أعنى علبه معدنية فوقها ما يشبه الكباس ؟ »  
 - « أنت رجل نكي .. المفترض أن يغلق هذا الكباس دائرة كهربية ترسل شرارة إشعال في الديناميت .. »  
 هنا سمعنا الطرقات العنيفة على بابي ..  
 - « افتح الباب يا ( دم ) ! »  
 كانت طرقات غير مرحبة وغير ودود .. طرقات تتهمني بالخيانة .. من الواضح أنهم وجدوا الفتاة قد ماتت بعد استنزافها ، وعرفوا كل شيء ..

صحت في ( رفعت ) وأنا أرفع مصراع النافذة لأعلى :  
 - « هلم ! اخرج حالاً ! »  
 حشر جسده التحيل معدوم اللياقة في الفتحة ، وتساءل محتجاً :  
 - « ولكن .. ماذا عن .... ؟ »  
 - « أسرع يا أحق ! »  
 ودفعته دفعاً إلى خارج النافذة ، بينما الطرقات تتعالى أكثر :  
 - « افتح يا ( دم ) ! لقد اكتشفنا خيانتك ! »  
 أغلقت مصراع النافذة ، وهرعت ركضاً أغار القبو ..  
 دخلت غرفة النوم حيث كانت ( إليصابات ) جالسة في الظلام تحتضن ابنتها ، وقد اتسعت عيناها هلعاً .. ومرتجة سألتني :  
 - « ماذا يريدون ؟ »  
 قلت وأنا أخرج بندقيتي من الخزانة ، وأحشوها بالخراطيش :  
 - « يريدون الانتقام ! »  
 - « لماذا ؟ ماذا اقترفت ؟ »

تأكدت من أن البندقية محشوة ، فأغلقتها ..  
وثبتت قاعدتها إلى كتفى واتخذت وضع الرماية ..  
قائلًا :

- « افترفت كل ما يعتبره مصاصو الدماء إلحاذًا ..  
ويتعبره البشر عملاً خيّرًا .. لكن دعيني أؤكد لك ... »  
واتجهت نحو الباب وأنا أسمع الطرقات توشك على  
افتلاع الباب :

- « لن يأخذوني بسهولة ! »

★ ★ ★

## حكاية الطبيب النحيل

يحكيها هو نفسه

قال ( رفعت ) :

كانت ( إنفرنوس ) كلها على باب ( بيلاسكو ) الآن ،  
فلم يرني أحد وأنا أغادر الدار واتجه إلى البيت المقصود .

★ ★ ★

لم تكن المهمة عسيرة ، وبرغم الظلام كان الضوء  
القادم من الشارع كافيًا كي أجد الصناديق المذكورة ..  
صحيح أنني جرحت يدي في أثناء الدخول وتهشيم  
النافذة ، برغم أنني هشمتهما بحجر .. وصحيح أنني  
تلقيت عضة فأر في اليد ذاتها وأنا أحاول فتح أحد  
الصناديق ، صحيح أن كل هذا حدث .. لكن الأمر كان  
سهلاً للغاية ، فالأيدي الجريحة يمكن تضميدها دائماً ..  
وهناك مصل ( كلب ) في مستشفيات ( بوكوفينا )  
دائماً ..

المهم الآن أن ....

صوت الهياج يزداد وأنا أدرس الأصابع الرهيبة في  
جيبى .. ثمانية أصابع .. لا بد أنها كافية ..  
صوت صراخ .. تحطيم خشب .. لا بد أنهم اقتحموا  
الباب الآن ..

وجدت جهاز التفجير ولفة من الأسلاك جواره ،  
فرفعت .. إنه ثقيل حقًا لكن منظره يذكرني بـ ( كوريك )  
السيارة أكثر منه بعلبة معدنية ..

ولم أنس أن ألفت الأسلاك حول نراعى ..  
واتجهت إلى .. آه يا قلبي ! لاتخاذ الآن ..  
مسكين أنت ! طالبتك بالكثير وما زال أمامك ما هو  
أكثر .. إتني أعتد عليك .. أنت لم تتخل عنى منذ  
عام ١٩٢٤ .. فلا تفعلها الآن !  
اتجهت إلى .. النافذة ...

ونجحت - لا أدري كيف - في مغادرة الفتحة ..  
وللحظات استلقيت على أرض الشارع الحجرية  
ألهث .. وأصغى إلى صوت طلقات النار من بعيد ..  
يبدو أن ( بيلاسكو ) لم يكن سهل الهضم كما  
ظننت ..

★ ★ ★

راكضًا رحمت أتجه إلى الكهف اللعين ..  
نظرت للوراء فوجدت جثة الفتاة المعلقة من قدميها  
إلى الشجرة ، كأنها في كابوس حي .. لكنها - على  
الأقل - قد استراحت للأبد ..  
تحاشيت النظر إليها ، ورحمت أتأمل الكهف ..

كفم الموت الفاجر ينتظرنى فى شوق ..  
ينتظرنى وأنا أتجه إليه .. انظر للوراء فى  
( لقد توقفت الطلقات .. أترام فرغوا منه ! )

توجدس .. لو جاءوا الآن فلن يكون لهذه المغامرة  
معنى .. ( جوستاف ) الباس .. هل قتلوه ؟ ربما  
أثروا تركه حتى يجيء ( هو ) لو كان له أن يجيء ..  
ترى ما هو عقاب الشخص الذى يبذل أقدس نفاس  
هذا المجتمع ، ويستبدل بها عدة جرائم من القفل ؟  
لن يضربوه بالعصا على أطراف أنامله طبعاً ، أو  
يقولوا له ( يا وحش ! لكنى غير قادر على تخيل  
ما سيحدث ...

هو ذا الكشاف حيث تركته فى تلك الليلة - أمس ! -  
حين خرجت لهم مع ( جوستاف ) متظاهراً بالشحوب ..

★ ★ ★

« إن ضوء هذا الكشاف لا ينتهى إلا عندما ينتهى ! »

★ ★ ★

لم ينته بعد لحسن الحظ .. ما زال يسمح لى ببضع  
دقائق .. على كل حال فتحته وأخرجت الحجر الجافاً  
لأدسه بين أسناني ، وأعضه عضه مؤلمة - لى أنا  
طبعاً - تمنحه مزيداً من العمر القصير ..



نظرت للوراء فوجدت جثة الفئاه المعلقة من قدمها إلى الشجرة ، كأنها  
فى كابوس حى .. لكنها - على الأقل - قد استراحت للأبد ...



ثم أعدته إلى الكشاف .. حسن .. الإضاءة أحسن نوعاً ..

دخلت الكهف .. مترين أو ثلاثة أمتار .. ثم رحلت أفرغ جيوبى مما بها من نفائس .. ليس الديناميت مما يرهبنى الآن .. فقد فجرته مرتين من قبل حين واجهت ( العساس ) ..

★ ★ ★

ثم انبطحى ! لا تنسى يا سيدتى أن تنبطحى !

★ ★ ★

بدأت أغرسه كيفما اتفق فى الجدران .. أنخر الحجارة الهشة بأظفارى ثم ثبتت كل إصبع فى الفتحة .. الآن يبقى دور ال .....

لحظة ! يبدو أن هذه ليست الطريقة المثلى .. فى السينما يفجرون حزمة كاملة من هذه الأصابع ملفوفة بالسلك .. وهكذا قررت أن استزع كل ما وضعته ، وعدت أكومه فى حزمة واحدة .. ثم عريت طرفاً من السلك ، رحلت أو اصل ما بدا لى هو الحل الصائب الوحيد ..

وأحكمت تثبيت حزمة الديناميت فى الجدار ..

ثم مددت السلك إلى الخارج مسافة كافية .. أخيراً وجدت صخرة يمكن أن أتوارى وراءها ، فجدبت السلك ، وقمت بربطه بجهاز التفجير مستعملاً أظفارى ( كانت موضة إطالة ظفر الإصبع الصغير لليد شائعة وقتها ، وبرغم أنها عادة غير متحضرة فباتنى كنت ممن يزاولونها للأسف ) ..

هكذا أتأ جاهز ويدي على ( كباس ) جهاز التفجير .. هكذا يمكنى البدء ..

لكن مارأيته جعلنى أصاب بشلل لحظى ..

★ ★ ★

لقد كان ( بيلاسكو ) صادقًا ، حتى إن شككت في ذلك لحظة ..

لقد سكب دماء ( دراكيولا ) في المرحاض حقًا ...

★ ★ ★

كان الصخب عاتياً ، ولسان من البرق شقّ عنان السماء ليضرب الكهف فيتألق بذلك اللون ( الإستاتيكي ) البارد الرهيب ..

واهتزت الأرض مرات ومرات ، ثم رأيت الشيء الذي قال لي صدق ( بيلاسكو ) ..

فمن أكثر من عشرين موضعًا في ساحة القرية البعيدة ، وفي عدة مواضع حول الكهف .. رأيت الأرض تتفجر لتخرج منها نافورات من الدم الأحمر القاني ، يثور ويرغى غاضبًا محنقًا ..

إن الأمر مفهوم .. هذه هي الدماء ، وقد سرت في شبكة المجارى تحت القرية .. ثورة الغضب الأخيرة لكانن شيطاني حرمه الرحمن من إفساد عالمنا ..

رحمت أردد المعوذتين ، وأرتجف .. أسناني تصطك هلعًا ..

ولمحت الدماء تتسرب ببطء إلى داخل الكهف .. بركة صغيرة تحتشد ببطء هناك .. ما معنى هذا وما مغزاه ؟

غلبني الفضول فنهضت ..

ركضت إلى مدخل الكهف محاذراً أن أدوس في السائل المخيف ..

لحسن الحظ أنه يتدفق من الجانب تاركاً لي المجال كي أجد مكاناً لخطواتي ..

نظرت إلى الداخل فوجدت هولاً ..

لقد كان الضباب الأحمر يتزايد .. الضباب الذي رأيته حين فتحت الباب مع ( جوستاف ) أمس ..

كان هناك صوت خوار قوى ..

واستطعت أن أرى جسداً يتحرك .. جسداً عملاقاً يرتدى ظله على الضباب .. كان آتياً من قلب الكهف ..

من المقبرة وباب ( جانب النجوم ) .. وكان يخور كالثيران ..

إبه ( هو ) .. ( فلاد ) .. ( دراكيولا ) .. ( نوسفيراتو ) !

لقد اجتاز الفتحة إلى عالمنا !

وهرعت راکضاً إلى مخبئى شاعراً بأنها الساعة ..  
فؤادى لا يكف عن الوثب .. لا يكف عن ..  
لا بد أتنى غبت عن الوعى بضع دقائق من فرط  
الانفعال العاطفى ..  
و ..... الظلام ... الظلام ...

★ ★ ★

وحین فتحت عینى رأیت المشهد وقد صار مزدحمًا  
إلى حد لا يمكن وصفه .. وعلى ضوء البرق اللحظى  
كنت أرى تفاصيله بدقة ..  
لقد جاء كل أهالى ( إنفرنوس ) ، واحتشدوا عند  
مدخل الكهف ..

لو أنك رأيت المشهد لأرحتنى من عناء وصفه ..  
لكنى سأحاول .. سأحاول أن أصف البرق ، والظلام  
ونافورات الدم ، والضباب الأحمر المنبعث من  
المدخل .. سأحاول أن أصف القوم وهم يصرخون فى  
لهفة .. فى نشوة .. وينحنون غیر مصدقین ..  
سأحاول أن أصف رائحتهم الكريهة التى امتزجت  
برائحة البرق ورائحة ( الأوزون ) إن كانت للأخیر  
رائحة ..

وأخيراً فهمت أكثر ما حدث ...

إن العلامة التى ينتظرها ( هو ) كى يجتاز الثغرة ،  
هى أن ترتوى أرض الكهف بدمائه .. وهو ما حدث  
نتيجة لقيام ( بيلاسكو ) برمى الدماء فى شبكة  
المجارى ..

صحيح أن ( هالماجيو ) لم تصر كلها للشاحبين ..  
وهذا معناه أن الأخ ( فلاد ) قد تلقى دعوة سابقة  
لأوتها ؛ لكن هذا لا ينفى حقيقة أنه اجتاز الفتحة أو  
يجتازها الآن ...

ورأيت المسوخ المخبولة تدخل الكهف ، وهم  
يرددون الكلمة الوحيدة التى أعرفها - للأسف - من  
اللغة الرومانية كلها :

- « فامفيرى ! فامفيرى ! »

كلهم يدخل حتى الشيوخ منهم والنساء .  
كلهم يدخل الكهف ليكون باستقبال ( هو الذى  
يمشى فى الظلال ) ..

★ ★ ★

ولم يكن أمامى حل آخر .. صدقونى ...  
فقط امتدت يدي إلى ( الكباس ) ، ودعوت الله  
- رب العرش العظيم - أن يكون فهمى للدوائر الكهربائية

صحيحًا ، وأن يكون الديناميت صالحًا ، وأن يكون  
موقعه ملائمًا ، وأن يكون بوسعى أنا الكهل الواهن  
أن أنهى هذا الكابوس ..

هوب ! لم يحدث شيء ...  
هوب ! لا شيء ...

أترى من المفترض أن أضغط على هذه الأداة  
مرارًا كمنفاخ الدراجة الهوائية ؟ أم .... ؟  
لكن الانفجار جعلنى لا أتساءل أكثر ..

★ ★ ★

استحال الليل نهارًا ، واهتزت الأرض تحت قدمى ،  
وتطاير الغبار فى كل مكان ..

بصعوبة صدقت أننى مصدر هذه الفوضى ..

وخيل إلى أن الدوى استمر قرونًا .. لكنه حين هدأ  
أخيرًا ، كان بوسعى أن أرى مدخل الكهف وقد تحول  
إلى جبل من الصخور ..

و - كأنما لتغسل كل هذه الآثام - انهمرت الأمطار  
مدرارًا ...

★ ★ ★

ها ها ها ها ها ه !

دوت الضحكة العالية لكنها لم تكن لى .. استدرت  
إلى الوراء فرأيتَه واقفًا تحت الأمطار فى وقار كأنما  
لا يعاب بها ولا تعاب به .

نزعت عويناتى التى جعلها الماء لا تصلح لشيء ..  
كان الصئيب ينهمر على صلعتى ، وبلبل ثيابى إلى  
ما تحت جلدى .. لكنى تقدمت نحوه وأنا أشهق طالبًا  
الهواء ..

د. (لوسفير ) ينتظرنى ويداه فى جيبي صديرى  
بذلته السوداء ..

قلت له والماء يسيل من حاجبى كالشلال :

- « والآن تعال نصف حسابنا أيها الوغد .. أرنى  
ما ستفعله ! »

واتخذت وضع ملاكمة عظيمًا جدًّا ، واتجهت نحوه ،  
وقبضتى اليمنى تتقدمنى .. إن لكمتى الخطافية سوف ..  
- « كف عن هذا السخف ! »

قالها ودفعنى للوراء بسبابته ، فطرت مترًا أو أكثر  
لأسقط فى الأوحال .. لنن أستطيع أن أفعل ما يفعله  
الآخرون أبدًا ...

قال لي وهو يتأملني وأنا على الأرض :

- « لقد هدمت الكهف على رؤوسهم ياد.. ( رفعت ) ..  
وأغلقت باب ( جانب النجوم ) في اللحظة التي كان  
( فلاد ) يتأهب فيها للعبور .. لعبة موفقة حقاً .. »  
- « لكنه عبر بالفعل .. لقد رأيته ! »  
- « كان هذا ياوره .. وقد جاء يستكشف الأمور  
قبل قدوم سيده .. »

ثم أردف والمطر يزداد كثافة :

- « الحق أقول إنني كنت أعرف هذا من اللحظة  
الأولى .. وعرفت أنك ستفجر الكهف .. لكني - لك  
أن تصدق - تركت الأمور تمضي كي أستمتع برؤية  
صراحك المحموم .. »  
سألته وأنا أنهض مهشم العظام :

- « ولماذا ؟ »

- « لأن الحمقى من أمثالك هم ما يجعل للحياة طعمًا ..  
إن ( الماتوية ) تقول إن الشر ضروري للكون كالخير ..  
ولولا الشر ما وجد الخير .. إن الحياة لا تستقيم إلا  
بوجود مصاصي الدماء وقتلة مصاصي الدماء مثلك ..  
لهذا تركتك حياً لأن جولات كثيرة تنتظرنا معًا ..  
جولات أكثر إمتاعاً من هذه .. »

- « تريد القول إنك ستتركني حياً الآن ؟ »

- « حقاً أقول .. »

- « وبمنطق القط ( توم ) الذي لا يلتهم الفأر  
( جيرى ) حتى لا تصير الحياة مملة كالجحيم ؟ »  
- « بالمنطق ذاته .. »  
نظرت للسماء التي ما زالت تسخو بأطارها ..  
وقلت :

- « وماذا عن ( فلاد ) ؟ »

- « سيبحث عن ثغرة أخرى يعبر من خلالها ..  
ولسوف ينجح حتماً .. ويومها ستكون أنت أول رأس  
يقطعه .. فهو يعلم الآن من أغلق بوابته ! »  
حاولت سدى تجفيف صلعتي من الماء ، وسألته :

- « وماذا عن ( جوستاف ) ؟ »

- « حتى يرزق .. ستجده في القبو حيث هو .. لكن  
لا تصعد للطابق العلوي لأن المشهد ليس محبباً .. »  
- « رباه ! »

واستدرت مبتعداً متجهاً إلى دار ( بيلاسكو ) ،  
حين سمعت ( لوسيفر ) يناديني من وراء ظهري ..  
فسألته دون أن ألتفت :

وكان على أن أشفى سريعاً من جراحى النفسية  
والمعنوية ، كى أواجه فصيلة النازيين التى لم تمت  
بعد ، والتى تجوب القرى ليلاً تنشر الخراب والذعر ..  
لكن هذه قصة أخرى ..

د. رفعت إسماعيل  
القاهرة

★ ★ ★

[www.liilas.com/vb3](http://www.liilas.com/vb3)

^RAYAHEEN^

مع تحيات منتدى ليلاس

- « هل هناك جديد ؟ »

قال بصوته الببرى واثق النبرات عميقها :

- « حافظ على صحتك .. حاول ألا تموت قبل لقائنا

التالى .. »

- « سأحاول .. لكنى لا أعدك بشيء .. »

★ ★ ★

سيكون على أن أحكى كل هذا للسلطات الروماتية

المتشككة ..

سيكون على أن أطمئن على أن ( جوستاف ) قد

شفى من الصدمة العصبية ..

سيكون على أن أضمد جراح يدي ، وأخذ حقن

( الكلب ) إياها ..

سيكون على أن أتأشى الإصابة بالتهاب رئوى

بعد كل هذا البلى ..

سيكون على أن أحاول النسيان ، كى أستطيع النوم

من جديد ..

★ ★ ★

كل هذا ممكن ..

أحتاج إلى وقت لكنه ممكن ...